نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم

رؤية تأسيسية
لمنهج جديد في تفسير القرآن



د. وصفي عاشور أبو زيد



نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم

د. وصفي عاشور أبو زيد

مفكرون الدولية

هذا الكتاب

اهتم المسلمون بالقرآن الكريم وأنشأوا حوله العلوم لخدمته وتجلى ذلك في تأسيس مدارس واتجاهات في التعامل مع القرآن الكريم: هذا اتجاه الرأي وذاك اتجاه الأثر. هذا التفسير الفقهي وهذا التفسير اللغوي، وغير ذلك من اتجاهات، وقد حاول المؤلف أن يؤسس لاتجاه جديد مستضيئا بما قاله السابقون.

إنه اتجاه التفسير المقاصدي للقرآن الكريم بما تناوله في هذا الكتاب من تعريف له وعلاقته بأنواع التفسير واتجاهاته، وأنواع لمقاصد القرآن الكريم ومسالك الكشف عنها، وما بينه من مقومات للمفسر المقاصدي، وأوضحه من فوائد غنية ومقاصد ثرية للتفسير المقاصدي للقرآن الكريم.

إن ما تمر به أمتنا اليوم يوجب علينا شرعا، ويفرض علينا حضارة وحضورا أن نؤسس للفهم المقاصدي للقرآن الكريم، ونتعامل معه وفق هذه الرؤية، وهذا ما يسعى هذا البحث إلى التأسيس له، والتأطير لجوانبه المختلفة.



ISBN - 978 - 977 - 6637 - 54 - 2

9 789776 637542

www.mofakroun.com
info.mofakroun.com

نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم

نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم

تأليف : د. وصفي عاشور أبو زيد

الطبعة الأولى : ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

رقم الإيداع : ٢٣١٣٦ / ٢٠١٨

الترقيم الدولي : ٢ - ٥٤ - ٦٦٣٧ - ٩٧٧ - ٩٧٨





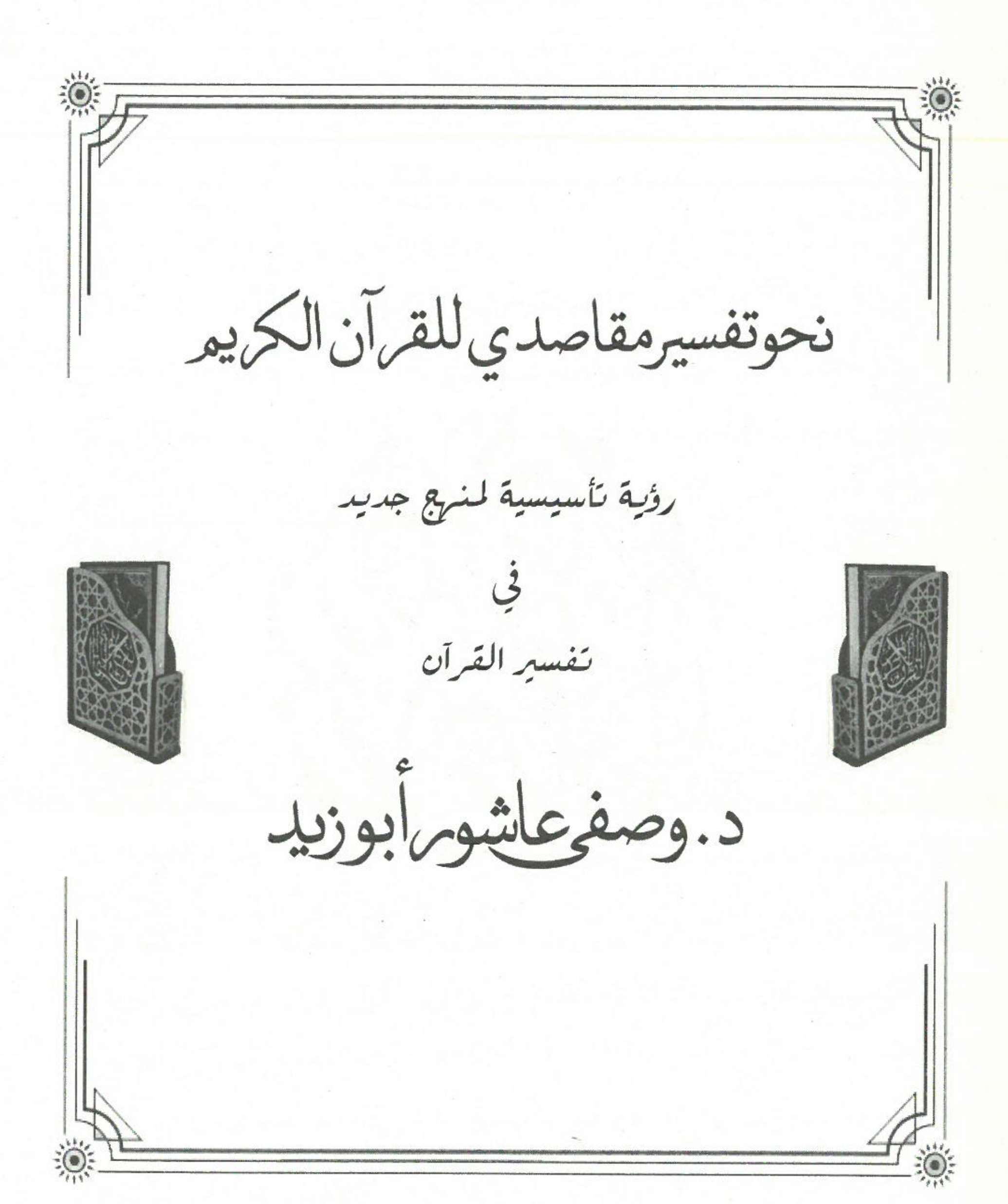
القاهرة : ٠٠٢٠١٠٢٢٣٣٢٠٤١ - ٠٠٢٠١١١٠١١٧٤٤٧ - ٠٠٢٠١١٤٤٤١٦٦٨٨

السعودية - دار الورقات : ٠٠٩٦٦٥٤١٢٩٧٩٨٢

المغرب - دار برهون الدولية : ٠٠٢١٢٥٢٢٤٥٢٠٨٤

info@mofakroun.com

www.mofakroun.com



نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم

رؤية تأسيسية لمنهج جديد

في

تفسير القرآن

د. وصفي عاشور أبو زيد

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، سيدنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه.

وبعد؛

فإن القرآن الكريم كتاب الإنسانية، أول نداء فيه هو: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة البقرة: ٢١]، وفيه سورة تسمىٰ (سورة الإنسان)، وآخر سورة فيه هي سورة (الناس)، وآخر كلمة فيه هي كلمة الناس، وكلمة الناس تكررت فيه أكثر من (٢٤٠) مرة، وكلمة (بني آدم) تكررت أربع مرات، وهكذا، فلو جاز لنا أن نطلق علىٰ القرآن وصفا لكان: (كتاب الإنسانية).

ولقد اهتمت البشرية -ولا أقول الأمة المسلمة فقط- بالقرآن الكريم كما لم تهتم بكتاب سماوي؛ فضلًا عن قانون أرضي أو دستور بشري، وأَوْلَتْه من الرعاية والعناية والدراسات والتأملات والتفاسير ما لم يحدث مع كتاب آخر، وأقامت حوله من العلوم لخدمته ما لم يقم حول غيره.

وتنوع هذا الاهتمام بما قام من اتجاهات في التعامل مع القرآن الكريم، فهذا اتجاه التفسير بالمأثور، وذاك اتجاه التفسير بالرأي، وآخر تفسير مذهبي، وهنالك اتجاه التفسير اللغوي، وآخر للبلاغي أو النحوي، وهذا اتجاه التفسير العلمي، وذاك التفسير العقدي والفلسفي، وغير ذلك من مدارس واتجاهات.

وكل اتجاه من هذه الاتجاهات فيه العديد من التفاسير، وقد يبلغ عدد التفاسير في الاتجاه الواحد عشرات التفاسير، وهذا يقفنا علىٰ قيمة هذا الكتاب العظيم، واهتمام البشرية به؛ لما خُصَّ به من خصائص، وتمتع به من مزايا، وأُودع



فيه من مقومات، جعلت منه كتاب الزمان والمكان والإنسان إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن أهم هذه الاتجاهات التي يجب الكشف عنها والحديث حولها والتأسيس والتأصيل لها: **اتجاه التفسير المقاصدي للقرآن الكريم**؛ إذ أنزل الله القرآن العظيم لأهداف سامية وغايات عالية، تنشد هداية البشرية وإسعادها في الدنيا والآخرة.

وينبغي أن يكون هذا الاتجاه هو المُقدَّم؛ لأنه اتجاه معياري وحاكم علىٰ غيره من الاتجاهات والمدارس؛ حيث إننا نستطيع أن نقوِّم ونقيِّم ونجدد الاتجاهات الأخرىٰ في ضوء اتجاه التفسير المقاصدي للقرآن الكريم.

إننا لن نستطيع أن نفهم القرآن حق الفهم، ونستنزله حق الاستنزال، ونستلهمه للحياة معه والجهاد به في واقع أمتنا المعاصر، إلا إذا تعاملنا مع القرآن الكريم وفق أهدافه التي نص عليها القرآن نفسه، وكما تراءت لنا عبر مسالك الكشف عنه، ونظرنا إليه نظرة مقاصدية، تستكشف غاياته، وتستجلي مراداته، وتستبطن ما يريده من البشرية، حتىٰ تحط رحالها علىٰ شاطئ النجاح والفلاح في المعاش والمعاد جميعا.

ومن أجل هذا يدعو هذه البحث: (**نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم**) إلىٰ تأسيس اتجاه جديد، ورسم معالم له؛ حيث لم يبرز في تراثنا التفسيري، ولكن من وجهة تأسيسية تأصيلية وتأطيرية.

ولهذا جاءت التسمية الفرعية للبحث (**رؤية تأسيسية**):

- حيث يبين تاريخ القضية.
- ويجتهد في تحديد مقوماته التي ينهض بها ويتأسس عليها.

- ويحدد مسالك الكشف عن هذه المقاصد بأنواعها.
- وبيان أهمية كل نوع من تلك الأنواع وفوائده.
- ويفصل القول في أنواع هذا التفسير.
- ويحاول أن يضع له الضوابط الحاكمة له والضابطة لممارسته.
- ثم يكشف النقاب عن أهميته من خلال ذكر مقاصده وبيان وظائفه التي يؤديها في التعامل مع القرآن الكريم، وفي الحياة؛ أملًا في أن يسخر الله تعالىٰ أحد العلماء أو أحد المراكز البحثية أو فريقًا من أهل العلم القرآني أن يمحِّضوا أنفسهم لهذا المشروع الكامل:

(**مشروع التفسير المقاصدي للقرآن الكريم**)؛ ليكون لبنة جديدة في عمارة التفسير، وحلقة من حلقاته المشيدة؛ استلهامًا له في الحياة؛ وتلبية لاحتياجات الأمة من القرآن الكريم.

❀❀❀

واقتضت خطة البحث أن تكون علىٰ النحو الآتي:

المقدمة: حول أهمية الموضوع وخطته.

المبحث الأول: تعريف التفسير المقاصدي وعلاقته بأنواع التفسير.

المبحث الثاني: أنواع مقاصد القرآن الكريم.

المبحث الثالث: مسالك الكشف عن مقاصد القرآن الكريم.

المبحث الرابع: مقومات المفسر المقاصدي.

المبحث الخامس: ضوابط التفسير المقاصدي للقرآن الكريم.

المبحث السادس: فوائد التفسير المقاصدي للقرآن الكريم.

ثم كانت الخاتمة التي جاءت بخلاصة لأفكار البحث.

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلىٰ المساحة التي أخذها الفصل الأخير من هذا البحث، وهي فوائد أو مقاصد التفسير المقاصدي للقرآن الكريم، وهو ما يشير إلىٰ أن الفوائد والمقاصد والثمرات التي تُنتظر من التفسير المقاصدي ومشروعه كبيرة وكثيرة ومتنوعة ومهمة؛ الأمر الذي يحملنا علىٰ أن نقوم بمشروع تفسيري مقاصدي للقرآن الكريم.

ثم إن هذا البحث كان ورقة مقدمة إلىٰ الدورة العلميّة المتخصصة في مقاصد الشريعة الإسلامية، تحت عنوان: «**مقاصد القرآن الكريم**[1]»؛ حيث جاءت بعدها ندوتان تحت العنوان نفسه، وهي الندوات المتميزة التي يقيمها مركز دراسات مقاصد الشريعة الإسلاميّة بلندن، وكانت الندوة الأولىٰ بالتعاون مع مركز المقاصد للدراسات والبحوث (بالرباط)، وكليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة (بجامعة محمد الخامس - أكدال)، وتعقد في مدينة الرباط - المملكة المغربيّة، أيام الخميس والجمعة والسبت (١٠ / ١١ / ١٢ شعبان ١٤٣٦هـ، الموافق لـ ٢٨ / ٢٩ / ٣٠ مايو ٢٠١٥م)، لكنني أضفت إليه مباحث جديدة وأفكارًا جديدة وفقرات كثيرة بما ضاعف حجم البحث عن حالته التي قُدم بها للندوة.

وهذا البحث لا يؤسس لفن غير مسبوق به، فهناك إشارات واضحة في تفاسير كثيرة، منها علىٰ سبيل التمثيل:

(تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور)، و**(تفسير المنار، لرشيد رضا)**، و**(تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، للفراهي)**.

ولكنه يؤسس لمشروع مهم لخدمة القرآن الكريم من خلال إقامة مشروع تفسيري جديد يضع المقاصد القرآنية بأنواعها قبلته، ويقوم بتفسير القرآن الكريم كاملًا تفسيرًا مقاصديًا، مراعيًا المقاصد العامة، ومقاصد المجالات، ومقاصد السور، ومقاصد الآيات، ومقاصد الكلمات والحروف.

وهو مشروع يحتاج لمركز أبحاث أو فريق عمل متميز يقوم عليه ويقدمه خدمة للقرآن الكريم وتنويرًا للأمة في عصر تتلاطم فيه أمواج الفتن، وتتعاظم فيه بحار الظلمات والاضطرابات، ولن تجد الأمة مخرجًا من ذلك إلا في ضوء أنوار القرآن وهداياته، وفي ظلال مقاصده وغاياته.

ومما تجدر الإشارة إليه، وبعد هذه الرحلة مع هذا البحث في ظلال القرآن الكريم أن نقرر أن مقاصد القرآن أوسع وأوعب من مقاصد الشريعة، فالقرآن الكريم وهو كتاب الكتب ودليل الأدلة وعمدة الملة وقطب الشريعة ورحىٰ العقيدة - أشمل من الشريعة وأحكامها، وهذا يترتب عليه:

أن مقاصد القرآن أوسع وأوعب من مقاصد الشريعة، ففي القرآن العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات والآداب، وفيه السياسة والاقتصاد والتربية والثقافة والتزكية والفكر والاجتماع، والدوائر المختلفة والعلاقات المتباينة، وهذا يثمر مقاصد أوسع من مقاصد الشريعة، وهو ما ينعكس علىٰ تناول القرآن وينكس بالتبعية علىٰ الأحكام الشرعية والاجتهاد الفقهي..

إن المشتغلين بالقرآن الكريم أحوج ما يكونون اليوم، وأحوج ما تكون أمتنا -قبل أي وقت مضىٰ- إلىٰ التعامل مع القرآن من منظور المقاصد، وتُقيِّم عليه أعمالها وتعاملَها مع القرآن، وتقوِّم علىٰ أساسه سيرها إلىٰ الله، وتعاملها مع الناس، فعصور إرادة النهضة، والرغبة في التطوير، وممارسة التجديد والاجتهاد،

ورد الشبهات والحفاظ علىٰ الهوية.. كل هذا وغيره يوجب علينا شرعًا، ويفرض علينا حضارةً وواقعًا ومستقبلًا أن نؤسس للفهم المقاصدي للقرآن الكريم، ونتعامل معه وفق هذه الرؤية..

وهذا ما يسعىٰ هذا البحث إلىٰ التأسيس له، والتأطير لجوانبه.

واللهَ أسأل حسن القبول، وأن يجعله -بمنه وكرمه- من العلم الخادم للقرآن والنافع لأمة القرآن.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات..

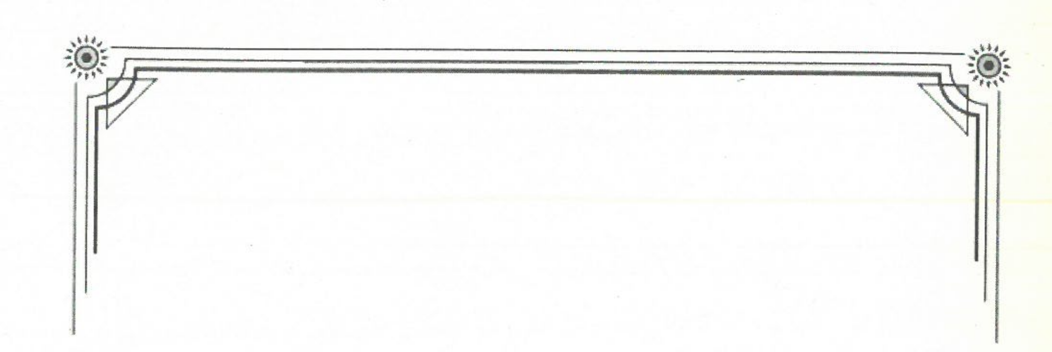
وكتبه

الفقير إلىٰ عفو ربه

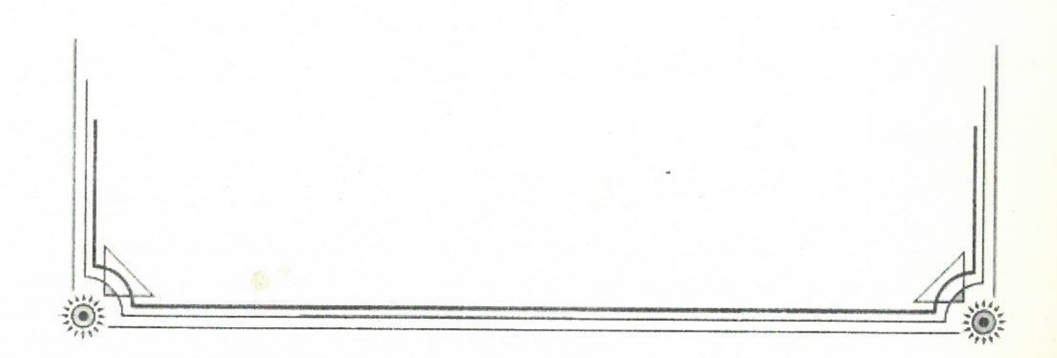
وصفي عاشور أبو زيد

اسطنبول ٢٤ ربيع الأول ١٤٤٠هـ

الموافق ٢ ديسمبر ٢٠١٨م



المبحث الأول
تعريف التفسير المقاصدي وعلاقته بأنواع التفسير



المبحث الأول: تعريف التفسير المقاصدي وعلاقته بأنواع التفسير:

من الأمور المهمة قبل الانطلاق في البحث تحديد المصطلحات وضبط مضامينها؛ حتىٰ ينطلق علىٰ أساس اصطلاح ما اصطَلح عليه في البداية أهلُ الفن، وقد قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والأصلُ في كل بلاء وعماء وتخليط وفساد: اختلاطُ الأسماء، ووقوعُ اسمٍ واحدٍ علىٰ معانٍ كثيرة؛ فيُخبِرُ المُخبِرُ بذلك الاسمِ وهو يريدُ أحدَ المعاني التي تحته، فيحمله السامع علىٰ غير ذلك المعنىٰ الذي أراد المخبرُ، فيقع البلاءُ والإشكال، وهذا في الشريعة أضرُّ شيء وأشدُّه هلاكًا لمن اعتقد الباطل، إلا من وفّقه الله تعالىٰ)[1].

تعريف التفسير المقاصدي:

والتفسير المقاصدي للقرآن الكريم يمكننا تعريفه بأنه: **نوع من أنواع التفسير واتجاه من اتجاهاته يبحث في الكشف عن المعاني المعقولة والغايات المتنوعة التي يدور حولها القرآن الكريم كليًّا أو جزئيًّا مع بيان كيفية الإفادة منها في تحقيق مصلحة العباد.**

ونعني بـ(كليًّا أو جزئيًّا) المقاصد العامة للقرآن الكريم، والتي تحدث عنها القرآن نفسه، وكثير من العلماء، وسيأتي تفصيل عنها، والمقاصد الجزئية التي ربما تكون خاصة بموضوع أو سورة أو مجموعة من الآيات، أو حتىٰ آية واحدة، وربما لفظة واحدة، وبيان المراد منها.

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام: ٨/ ١٠١. دار الآفاق الجديدة. ط٢. بيروت. في التعريف الآتي للتفسير المقاصدي لم نشأ أن نعرفه تعريفًا كما عُهد في تعريف المصطلحات المركبة فنعرف كل كلمة لغة واصطلاحًا ثم نعرف المركب جملة واحدة، وإنما عرفنا المركب مباشرة لتداول تعريف التفسير والمقاصد في مئات المواضع في الدراسات المعاصرة.

والنصُّ علىٰ (بيان كيفية الإفادة منها) جاء للتأكيد علىٰ أن التفسير ليس للتفسير وحسب، وإنما لبيان كيفية استنزال هدايات القرآن للواقع المعاصر، وكيف تفيد منها الدوائر الاجتماعية المختلفة: الفرد، والأسرة، والمجتمع، والدولة، والأمة، والإنسانية جمعاء.

والرؤية هي استطلاع الأمر بشكل واضح[١] من كل أطرافه وأبعاده بحيث يظهر جليًّا بمعالمه وأنحائه وحدوده لمن أراد أن يراه.

ومعنىٰ التأسيس لا يخرج عن معناه اللغوي[٢]؛ إذ هو أصل الشيء وجذره ومبتدؤه.

وبناء علىٰ هذا فإن الرؤية التأسيسية تعني وضوح الشيء وظهوره ببيان معالمه، وتحديد أبعاده، وتوضيح أصوله وجذوره.

وفي مقامنا هذا فإنها تعني وضوح أصول ومعالم التفسير المقاصدي للقرآن الكريم..

فهذا البحث -إذن- يهتم ببيان الجوانب التأصيلية للتفسير المقاصدي من خلال ذكر علاقاته بأنواع التفسير الأخرىٰ، وتفصيل أنواعه، وترسيخ مقوماته، وذكر مسالكه، وتقرير ضوابطه، وبيان مقاصده وفوائده، بما يضبط تناول التفسير المقاصدي للقرآن الكريم، ويكون ركيزة ينطلق منها المفسر المقاصدي.

علاقة التفسير المقاصدي بأنواع التفسير:

أما علاقة التفسير المقاصدي بأنواع التفسير ومنزلته منها، فإن أي نوع من

(١) انظر مثلًا: القاموس المحيط: فصل الراء، وانظر: لسان العرب: مادة (رأي)، والمحيط في اللغة: ما أوله راء.

(٢) انظر مثلًا: المصباح المنير. مادة: (ء س س)، و لسان العرب: مادة (أسس).

أنواع التفسير لا غنىٰ له عن مقاصد القرآن، فالتفسير المقاصدي - إضافة إلىٰ أنه نوع من أنواع التفسير، فإنه متغلغل في أنواع التفسير جميعًا، وكل أنواع التفسير لا غنىٰ لها عنه، بينما هو يستغنىٰ عن أنواع من التفسير، وهذا يبرز أهمية التفسير المقاصدي والفهم المقاصدي للقرآن الكريم، ومكانته في التعامل معه.

وقد تناول المفسرون القرآن الكريم بالبيان والتفسير عبر مناهج لهم وطرق هي أنواع التفسير: **التفسير التحليلي، والتفسير الموضعي، والتفسير الإجمالي، والتفسير الموضوعي، والتفسير المقارن[١]، والتفسير السُّنَني[٢]**.

وتتأكد حاجة كل نوع من هذه الأنواع من التفسير إلىٰ التفسير المقاصدي بما يدل علىٰ أن التفسير المقاصدي هو أبو كل هذه الأنواع من التفسير، أو الثمرة منها، وأن التفسير ينبغي أن يكون مقاصديًّا.

فالتفسير التحليلي: يبحث في معاني الألفاظ ومراميها والمقصود منها، وارتباطه بالتفسير المقاصدي ظاهر؛ إذ معاني الألفاظ ودلالاتها هي إحدىٰ مسالك الكشف عن المقاصد من الآيات الكريمة، وفي الوقت نفسه ينضبط النظر التفسيري التحليلي بمقاصد الآيات والسور؛ فضلًا عن المقاصد العامة للقرآن الكريم.

(١) راجع في هذه الأنواع وتعريفها: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: ٩، وما بعدها للشيخين أحمد الكومي ومحمد قاسم. الطبعة الأولىٰ. ١٤٠٢هـ. ١٩٨٢م، والمدخل إلىٰ التفسير الموضوعي: ١٦-١٨. لشيخنا العلامة د. عبد الستار فتح الله سعيد، والبداية في التفسير الموضوعي: ١٥، وما بعدها. د. عبد الحي الفرماوي. الطبعة الثانية. ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، والتفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق لصلاح عبد الفتاح الخالدي: ٤٦، وما بعدها. دار النفائس. الطبعة الثالثة. ١٤٣٣هـ. ٢٠١٢م.

(٢) راجع في هذا النوع: نحو تفسير سنني للقرآن الكريم: ٥، و٩-١٠. د. رمضان خميس زكي الغريب. دار المقاصد. القاهرة. الطبعة الأولىٰ. ٢٠١٥م.

والتفسير الموضعي: الذي يرجع فيه المفسر إلىٰ موضع واحد من القرآن الكريم، متتبعًا ترتيب الآيات في سورها، يحتاج إلىٰ النظر المقاصدي في القرآن الذي يقيم انسجامًا واتساقًا بين أحكام هذا الموضع ومقاصد القرآن، وينكشف كذلك مقصد هذا الموضع من خلال تتبعه في القرآن؛ حيث تتضح رؤية القرآن حول هذا الموضع ومقاصده ومعالمه.

والتفسير الإجمالي: يبين معاني السورة إجمالًا وهو مرتبط بالتفسير المقاصدي كذلك؛ إذ ينطلق من مقاصد السورة التي تنكشف من خلال آيات السورة واستقراء ما ترمي إليه.

وأما التفسير المقارن: فهو يعرض أقوال المفسرين في الآية أو الجزء من الآية ثم يبين مرجوحها من راجحها، وضعيفها من قويها، ولن يتأسس ذلك إلا علىٰ أساس الفهم المقاصدي للآية أو الجزء منها، في ضوء مقاصد السورة أيضًا.

وأما التفسير الموضوعي: فهو يتناول موضوع السورة أو موضوعًا يتتبعه في آيات القرآن جميعًا، والهدف منه هو الكشف عن معالم الموضوع، ورؤية القرآن له، وبيان مقاصد القرآن الكريم من موضوع السورة أو موضوع ما في طول القرآن الكريم وعرضه.

فأما التفسير السنني: الذي يتناول القرآن في ضوء علم السنن فهو وثيق الصلة بالمقاصد وفكرها؛ إذ لا فهم للسنن إلا مع فكر المقاصد، ولا حركة للمقاصد في الواقع إلا في ظلال السنن الربانية.

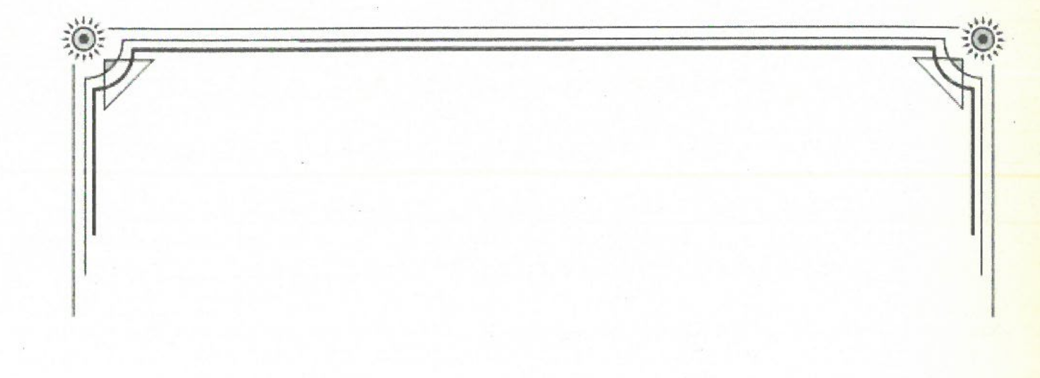
❊ ❊ ❊

وهكذا يتضح لنا أن الفهم المقاصدي للقرآن الكريم أو لسوره أو موضوعاته لا غنىٰ لأي نوع من أنواع التفسير عنه، ولا تتصور عملية التفسير إلا في وجوده

وظلاله، ولا ينفك عنه المفسر أبدًا في أي منهج يتبعه للتعامل مع القرآن الكريم، فغرض المفسر -كما قال ابن عاشور- بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالىٰ في كتابه بأتم بيان يحتمله المعنىٰ ولا يأباه اللفظ من كل ما يوضح المراد من مقاصد القرآن، أو ما يتوقف عليه فهمه أكمل فهم، أو يخدم المقصد تفصيلًا وتفريعًا[(١)]، وهذا يشير إلىٰ محورية المقاصد وضرورتها وأوّليتها لدىٰ المفسر حين ينظر في القرآن العظيم بمناهج تفسيره جميعا.

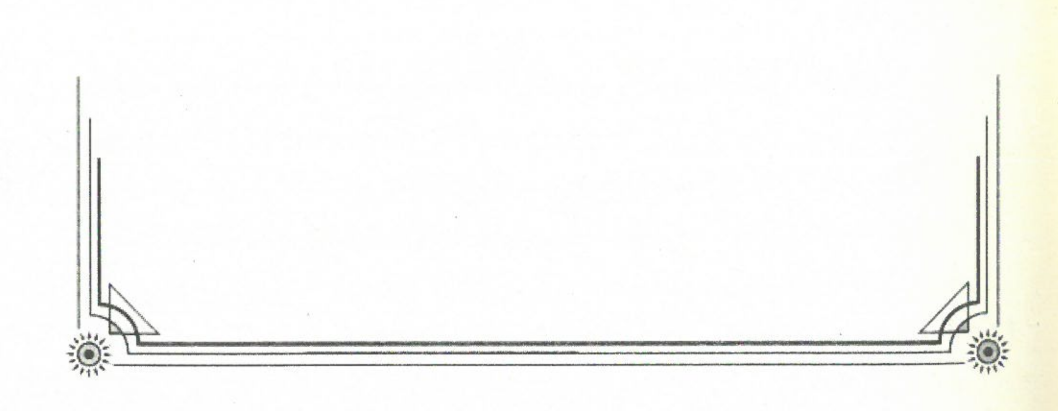
---

(١) التحرير والتنوير: ١/ ٣٩. طبعة بيروت. ٢٠٠٠م.



المبحث الثاني

أنواع مقاصد القرآن الكريم



المبحث الثاني: أنواع مقاصد القرآن الكريم:

من الأهمية بمكان أن يعرف المفسر أنواع مقاصد القرآن الكريم حتىٰ تكون نصب عينيه أثناء بذله لجهده العقلي والنفسي في تفسيره للقرآن، فإنه بمعرفته لهذه الأنواع، واستحضاره لها، ستنكشف أمامه أمور كثيرة، وتتضح له معالم وآراء ورؤىٰ وترجيحات وتفسيرات لم تكن لتتضح له دونها، وقد قسمت مقاصد القرآن إلىٰ خمسة أنواع(١)، علىٰ النحو الآتي:

أولًا: المقاصد العامة للقرآن الكريم:

هو ذلك النوع الذي يبحث في الغايات الكلية والعامة للقرآن الكريم، وقد تحدث القرآن الكريم بنفسه عن هذه المقاصد، فالقرآن يتحدث عن مقاصده؛ إذ ليس من المعقول ألا يفرط القرآن في شيء، أو أن يكون نزل تبيانًا لكل شيء، ثم لا يذكر مقاصده وأغراضه التي نزل من أجلها، وهي التي نجدها مبثوثة في طول القرآن وعرضه، وفي جميع سوره، وقد عرفها د. عبد الكريم حامدي بقوله: (هي تلك الأغراض العليا الحاصلة من مجموع أحكام القرآن)(٢).

---

(١) ذكر أستاذنا الدكتور أحمد الريسوني ثلاثة منها، هي: المقاصد العامة، ومقاصد السور، والمقاصد التفصيلية للآيات، وأفدت منه هنا في الحديث عنها، وقد ذكر ذلك في بحثه: (جهود الأمة في مقاصد القرآن الكريم)، وهو بحث شارك به في المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه بعنوان: «جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه»، أيام ١٠-١١-١٢ جمادىٰ الأول ١٤٣٢هـ الموافق ١٤-١٥-١٦ أبريل ٢٠١١م، بمدينة فاس - المملكة المغربية، الذي نظمته مؤسسة البحوث والدراسات العلمية «مبدع»، بالتعاون مع جهات أخرىٰ، وقد أدرج د. الريسوني هذا البحث فيما بعد ضمن كتابه (مقاصد المقاصد).

(٢) مقاصد القرآن من تشريع الأحكام: ٤٧. دار ابن حزم. بيروت. الطبعة الأولىٰ. ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

وقال هي: الغايات التي أنزل القرآن لأجلها تحقيقًا لمصالح العباد، فالغايات المراد بها المعاني والحكم المقصودة من إنزال القرآن، وهذه الغايات تهدف إلىٰ تحقيق مصالح العباد في العاجل والآجل[1].

وللعلامة محمد عبد الله دراز إشارات مهمة في كتابه: **(مدخل إلىٰ القرآن الكريم)**، وهو أميل إلىٰ المقاصد العامة للقرآن الكريم؛ حيث رأىٰ أن القرآن يدور حول **ثلاثة جوانب:**

- الحق أو العنصر الديني.
- والخير أو العنصر الأخلاقي.
- والجمال أو العنصر الأدبي.

وقد ذكر أستاذنا الدكتور أحمد الريسوني ستة مقاصد من هذا النوع، وهي:

١. مقصد توحيد الله وعبادته.

٢. مقصد الهداية الدينية والدنيوية للعباد.

٣. مقصد التزكية وتعليم الحكمة.

٤. مقصد الرحمة والسعادة.

٥. مقصد إقامة الحق والعدل.

٦. مقصد تقويم الفكر[2].

---

(١) مقاصد القرآن من تشريع الأحكام: ٢٩.

(٢) هذا المقصد ليس موجودًا في البحث المشار إليه وإنما هو مضاف في طبعة الكتاب (مقاصد المقاصد): ٢٨-٤٠. طبعة دار النداء. اسطنبول. ٢٠١٤م، وهو من باب الإضافة والتنقيح لما يكتبه العالم قبل إعادة النشر.

وأورد لكل مقصد من هذه المقاصد عددًا من الآيات تشير إليها وتشهد لها، ووضعها تحت مسلك من مسالك الكشف عن مقاصد القرآن، وهو حديث القرآن بنفسه عن مقاصده، في حين جعل المسلك الثاني هو تجارب العلماء وجهودهم في استنباط مقاصد القرآن، ومنهم أبو حامد الغزالي، **والعز ابن عبد السلام، والبقاعي، ورشيد رضا، وسعيد النورسي، والطاهر ابن عاشور**؛ حيث لهم محاولات استقرائية في الوصول لمقاصد القرآن العامة من خلال معايشتهم للقرآن وتدبرهم له[1].

والمتأمل في هذا النوع من المقاصد يمكنه أن يأتي بمقاصد أخرىٰ للقرآن الكريم، ومطلوبات من المكلفين، فالقرآن يريد منا أن نترك الجرائم والخطيئات؛ فردية كانت أو جماعية، ويريد منا أن نعمل الصالحات، ونفعل الخيرات، ويرحم بعضنا بعضًا، ونبني المجتمع بناء صالحًا طيبًا، والقرآن يدعونا لنشر الخير والصلاح، ودعوة الناس إليه، ورد من وقف في وجهه؛ حتىٰ يعم هذا الخير جميع الأرض، ويحصل التمكين لأهله، ويريد منا أن نعمل لخير هذه الإنسانية، وفلاحها ونجاتها وإسعادها بما نحن أمة الخيرية والشهادة علىٰ العالمين.

ويظل استنباط هذه المقاصد بهذا التعدد والاختلاف في الرؤىٰ عند كل صاحب تجربة من العلماء محكومًا بعصره، وبالثقافة السائدة فيه، والقضايا المثارة بين أهل الزمان، فإذا نظرنا إلىٰ المتقدمين وتجاربهم في ذلك وجدناها متقاربة، وإذا انتقلنا إلىٰ المعاصرين ابتداء من الأئمة: رشيد رضا ثم الطاهر ابن عاشور ثم القرضاوي وجدنا أصداء العصر في تجربتهم؛ حيث برز من المقاصد عندهم ما يتعلق بالمرأة وكرامة الإنسان والأسرة والحريات، وإذا تغير العصر وحاجات المكان فلا يبعد أن يأتي علماء آخرون يضيفون إلىٰ المقاصد السابقة

---

(١) انظر: مقاصد المقاصد: ٢١-٣٠.

ما يستوعب عصرهم ويلبي حاجاتهم، ويبقىٰ القرآن الكريم معطاء، فيه من الهدايات ما يستوعب الجديد في كل عصر، والمناسب لكل مصر!

وهكذا فإن المقاصد العامة للقرآن الكريم مع عدم قلتها، فإنها أهداف وغايات كبيرة، تنتظم موضوعات القرآن الكريم ومحاوره، وتلتئم تحتها سوره وآياته، فلا يند عنها موضوع أو سورة أو آية.

مقاصد معرفة المقاصد العامة للقرآن الكريم:

ذكر أستاذنا د. أحمد الريسوني خمسة من مقاصد مقاصد القرآن، هي:

١ . معرفة مقاصد القرآن الكريم هي المدخل السليم إلىٰ فهم الرسالة القرآنية الإسلامية علىٰ وجهها الصحيح...

٢ . معرفة هذه المقاصد العامة واستحضارها عند قراءة القرآن وتدبره، تمَكِّن قارئَه من الفهم السليم للمعاني التفصيلية...

٣ . بمعرفة مقاصد القرآن يتسدد فهمنا لمقاصد السنة النبوية جملة وتفصيلًا، ومن خلال ذلك يتسدد النظر الفقهي والاجتهاد الفقهي..

٤ . مقاصد القرآن هي الميزان والمعيار الذي يجب أن نزن به أعمالنا الفردية والجماعية، وحياتنا الخاصة والعامة..

٥ . مقاصد القرآن هي الميزان والمعيار الذي لا بد منه كذلك للمفسرين في مناهجهم وتفسيراتهم؛ فبمعرفتها ومراعاتها يضمن المفسر لنفسه ولتفسيره أن تكون اهتماماته ومقاصده واستنباطاته في نطاق مقاصد القرآن... وهذه هي الفائدة العلمية الأهم والأوسع أثرًا؛ وهي التي تعصم المفسرين من الانجرار وراء أمور

لا مكان لها في مقاصد الكتاب العزيز[1].

وعند التأمل في المقاصد العامة للقرآن الكريم أو التفسير المقاصدي بشكل عام سنقف علىٰ فوائد أخرىٰ ووظائف جديدة لمعرفة هذه المقاصد وهذا المنهج تعود علىٰ منهجية التفسير، وعلىٰ المفسِّر نفسه، وعلىٰ المهتمين بالقرآن الكريم عامةً، وسنشير لبعضها في مبحث الفوائد بإذن الله تعالىٰ.

ثانيًا: المقاصد الخاصة للقرآن الكريم (مقاصد المجالات والموضوعات):

هذا النوع من المقاصد هو الذي يبحث في مقاصد خاصة، ليست مضطردة في القرآن كله، في جميع سوره، أو جميع آياته، وإنما لها نطاق محدد ومجال معين تعمل فيه، ويمكننا تقسيم هذا النوع من المقاصد إلىٰ نوعين:

الأول: مقاصد خاصة بمجال من المجالات:

وهو ما يتصل بدائرة تشريعية من الدوائر، أو شعبة من الشعب؛ فمجالات القرآن الكريم متنوعة، مثل: مجال العقائد، ومجال الأخلاق، ومجال العبادات، ومجال المعاملات، ومجال الزواج والطلاق، ومجال المواريث، ومجال الحدود والعقوبات، ومجال السياسة الداخلية أو الخارجية، ومجال التربية، ومجال الاجتماع البشري... إلخ.

والخطة المثلىٰ للبحث عن المقاصد الخاصة في مجال من المجالات هو جمع الآيات المتصلة به، وتصنيفها، والنظر والتأمل فيها، فسوف نجد لها أنواعًا وطبيعة وأركانًا وشروطًا وقواعد وضوابط وفوائد وآثارًا، والتحقيق والنظر والتدبر في هذا كله يفضي بنا إلىٰ الوقوف علىٰ مقاصد القرآن الكريم من هذا المجال

(١) مقاصد المقاصد: ٤٠-٤١. باختصار، والمقاصد هنا نستخدمها بمعنىٰ الفوائد، لا بالمعنىٰ الأصولي المعروف.

أو ذاك، وقد ينص القرآن الكريم على ذلك بشكل واضح، وقد يستنبط من خلال النظر والتأمل في الشروط والضوابط والقواعد المنظمة للعمل به.

ولو أخذنا مثالًا لذلك بمجال مثل مجال الزواج -وهو جزء من مجال الأسرة- لوجدنا القرآن الكريم يسعى سعيًا لإقامة هذه الأسرة، بالحث على الزواج، وجعَل ذلك من نعمه وآياته، قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [النور: ٣٢].

وقال: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

وقال: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢].

ولم يسمه الله تعالى عقدًا، بل أسماه ﴿مِّيثَـٰقًا﴾، ووصفه بأنه **(غليظ)**، وهذا لم يحدث في عقد معاملات قط، لا في القرآن ولا في السنة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [النساء: ٢٠-٢١].

ووضع القرآن الكريم القوامة عند الرجل على المرأة ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾؛ فلا بد للحياة من قائد يقودها بالحكمة وفق شرع الله الحنيف: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

وعند نشوز الزوجة وضع القرآن الكريم عدة تدابير تدريجية في التعامل معها، أجملها القرآن وفصلتها السنة، بما لم يشهده التاريخ في شريعة سماوية أو قوانين أرضية، قال تعالى: ﴿وَٱلَّـٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].. وقد قال الأستاذ سيد قطب هنا كلامًا رائعًا فليراجع مكانه.

وعند الخلاف لم يترك القرآن الكريم هذا الكيان يتصدع وينهار، وإنما وضع من التدابير ما يحافظ عليه، ويبعد عنه التشقق والتصدع، وإنما أمر الزوجين بإحضار حكمين عدلين من أهلهما للإصلاح بينهما، وجعلهما القرآن الكريم من الأهل نظرًا لحرص الأهل هنا وهنا على استدامة الأسرة واستقرارها، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [سورة النساء: ٣٥].

فالمتأمل في هذا المجال، أو جزء من مجال الأسرة، يتبين له بيقين أن الإسلام يقصد قصدًا ويسعى سعيًا في البدء والأثناء والختام أن تقوم هذه الأسرة، وأن تبقى قوية متماسكة متحابة متراحمة متواددة، قوية النسيج، عزيزة الجناب، مرفوعةً شامخةً، تتأبّى بما وضعه الشرع لها من تدابير على التشقق والتصدع والانهيار.. حتى في حالة الانهيار (الطلاق) الذي كرهه الشرع ونفّر منه، لكنه أباحه لرفع الضرر: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠]، حتى في هذه الحالة أمر القرآن الكريم أن يكون التسريح (بإحسان)، وطلب من الطرفين أن يتعاملا بالفضل لا العدل:

﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟

ﭐﻟۡﻔَﻀۡﻞَ ﺑَﻴۡﻨَﻜُﻢۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

هكذا يرسم القرآن الكريم صورة مثالية للحياة الزوجية، ويتضح من خلالها مقصد القرآن الكريم منها، من خلال جمع الآيات والتأمل فيها، والتفحص في تدابيرها وأحكامها.

وفي مجال القصص القرآني مثلًا يبين الطاهر ابن عاشور أن المقصد من سرد القصص ليس التلهي ولا التسلية، وإنما لغرض آخر، يقول: (إن من مقاصد القرآن في ذكر القصص الماضية أن يعتبر بها المسلمون في الخير والشر)[١].

وهكذا في أي مجال من مجالات القرآن الكريم نقوم باستقراء الآيات التي تحدثت عنه والتدبر فيها وتصنيفها، ومن ثم الوقوف علىٰ مقاصد هذا المجال أو ذاك.

والثاني: مقاصد خاصة بموضوع من الموضوعات:

وهذا هو التفسير الموضوعي، الذي قد يكون خاصًا بموضوع في سورة معينة، أو يتناول موضوعًا في طول القرآن وعرضه، كاليهود في القرآن، أو التقوىٰ في القرآن، أو الإحسان في القرآن، أو يوسف في القرآن، أو الجبال في القرآن، أو الصلاة في القرآن، أو الأمثال في القرآن... إلخ.

فأي موضوع من هذه الموضوعات تتمثل خطواته في جمع الآيات القرآنية، وتفسيرها تفسيرًا علميًا علىٰ أساس الموضوع، وتدون في بحث منفرد أو كتاب جامع علىٰ نمط مبسوطات التفسير التحليلي؛ بحيث يرجع الباحث إلىٰ الموضوع الذي يريده، ويعلم موقف القرآن منه في يسر وسهولة[٢].

---

(١) التحرير والتنوير: ٢/ ٦٨.

(٢) محاضرات في التفسير الموضوعي: ١٣. لشيخنا د. عبد الستار فتح الله سعيد. دار النداء. اسطنبول. الطبعة الأولىٰ. ٢٠١٤م.

ومن خلال التأمل في الآيات المجموعة جميعًا، ودراستها والتدبر فيها، وتصنيفها وتحليلها، يتبين مقصد القرآن الكريم من موضوع من هذه الموضوعات.

ولو أخذنا مثالًا باليهود في القرآن الكريم، لوجدنا من صفاتهم: الإلحاد المطلق في العقائد، وقسوة القلوب إلىٰ درجة الهمجية والوحشية، واحتراف التزييف والتحريف والجدل، والغدر ونقض العهود، وأنهم بلغوا قمة الحقد والحسد، وأنهم يُسفهُون إذا أمنُوا، ويَقْتلُون إذا قَدرُوا، ويذكِّرون الناسَ بالمثل العليا وبالحقوق إذا وجلوا، ولكن لفائدتهم وحدهم، وأنهم يستهينون بالأخلاق والحرمات والشرائع، وأنهم مفسدون في الأرض... إلخ[١].

والقرآن الكريم حين يقص علينا ويبين لنا طبيعة اليهود وصفاتهم يقصد من وراء ذلك: أن نعرف صفاتهم، وأن نعاملهم علىٰ أساسها، فلا نأمن غدرهم، ولا نثق في وعودهم، ولا نأمن جانبهم، ولا نهادنهم أو نجري بيننا وبينهم اتفاقات إلا بشروط عادلة حازمة حاسمة، وغير ذلك من مقاصد... فدراسة موضوع واحد من جميع جوانبه يكشف الرؤية القرآنية له، وتتجلىٰ مقاصده وأغراضه بالتأمل والتدبر في أنحائه وجنباته.

مقاصد معرفة المقاصد الخاصة للقرآن الكريم:

يتحصل لدىٰ المتعامل مع القرآن الكريم من معرفة مقاصده الخاصة بنوعيها عدد من الفوائد، منها:

١ - استخلاص رؤية القرآن الكريم المقاصدية حول موضوع من الموضوعات أو مجال من المجالات.

---

(١) يراجع في هذه الصفات وغيرها بتوسع كتاب: معركة الوجود بين القرآن والتلمود: ١١٦- ١٥٤. لشيخنا العلامة د. عبد الستار فتح الله سعيد. الطبعة الثانية. ١٤٠٢هـ.

٢- العمل علىٰ اتساق جزئيات المجال أو الموضوع مع مقاصده بحيث تكون كل الجزئيات والفرعيات دائرة في إطار مقاصد الموضوع أو المجال.

٣- فهم جزئيات الموضوع أو المجال في إطار مقاصده.

٤- انعكاس هذه المقاصد للمجالات أو الموضوعات علىٰ العمل الفقهي: فهمًا وتنزيلًا واجتهادًا في النوازل والمستجدات.

٥- تقويم وتقييم هذه المجالات أو الموضوعات في حياتنا العلمية والعملية في ضوء مقاصدها؛ فمقاصد المجال أو الوضوع تكون معيارًا حاكمًا في تقييمها وتقويمها معًا عند تطبيقها في واقع الحياة.

٦- الإفادة من مقاصد هذه المجالات في التشريعات المعاصرة عند التقنين أو إرادة تيسيرها للتطبيق؛ فإن لمعرفة المقاصد هنا أهمية لا تخفىٰ في التقنين والتطبيق: رعاية وضبطًا وصحة في التنزيل والتطبيق جميعًا.

ثالثًا: مقاصد سور القرآن الكريم:

تفسير سور القرآن في ضوء مقاصدها هو: (**نوع من أنواع التفسير المقاصدي يبحث في أهداف وغايات السورة الواحدة، مع الكشف عن وجه الإفادة منها لتحقيق مصلحة العباد في العاجل والآجل**).

وقد يندرج أيضًا تحت المقاصد الخاصة للقرآن الكريم، لكن إفراده بنوع خاص به أولىٰ، لأهميته من ناحية، وللاهتمام الذي حظي به علىٰ مر التاريخ من ناحية أخرىٰ.

وإذا تأملنا في مقاصد السور نجد أنه قد يكون للسورة مقصد أكبر ثم غايات وأهداف كبيرة تنتهي إلىٰ هذا المقصد الأكبر، ثم أجزاء وموضوعات داخل السورة لها هي الأخرىٰ أهداف وغايات تنتهي أو تصب في أهداف السورة العليا.

وهو نوع يتطلب القراءة المتأنية للسورة، والتدبر العميق فيها، ولملمة أطراف موضوعاتها، والتفحص في أبعادها جميعًا، والنظر في أهداف كل موضوع، ثم التأمل في النهاية لاستخلاص المقصد الأكبر من السورة، وهو -علىٰ أي حال- نوع اجتهادي تلمُّسيٌّ يأتي عبر مسالك وطرق للوقوف عليها، وتدور أغلبها حول التدبر والتأمل من خلال توفير المقومات التي ستتحدث عنها في مبحث تالٍ.

ولعل أول بداياته كانت علىٰ يد الإمام مجد الدين الفيروزابادي (ت: ٨١٧هـ)، في كتابه: (**بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**)، وقد طبعه المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية في مصر بتحقيق الأستاذ محمد علي النجار، وهو كتاب في مقاصد العلوم والمعارف، ويذكر مباحث تتعلق بالقرآن: سورة سورة علىٰ ترتيبها المعروف في المصحف، فيذكر في كل سورة مباحث تسعة: موضع النزول - عدد الآيات والحروف والكلمات - اختلاف القراء في عدد الآيات - مجموع فواصل السورة - اسم السورة أو أسماؤها - مقصود السورة وما هي متضمنة له - الناسخ والمنسوخ - المتشابه منها - فضل السورة.

والمحاولة الناضجة في القديم كانت علىٰ يد الإمام برهان الدين البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، في كتابه: (**مصاعد النظر للإشراف علىٰ مقاصد السور**)، الذي جعله كالمقدمة أو المدخل لكتابه الآخر والأهم: (**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**)..

قال: (تكون السورة كالشجرة النضيرة العالية، والدوحة البهيجة الأنيقة الخالية، المزينة بأنواع الزينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدر، وأفنانها منعطفة إلىٰ تلك المقاطع كالدوائر، وكل دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها، وشعبة ملتحمة بما بعدها، وآخر السورة قد واصل أولها، كما لاحم انتهاؤها ما بعدها، وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كل سورة دائرة كبرىٰ، مشتملة علىٰ دوائر

الآيات الغرّ، البديعة النظم، العجيبة الضم، بلين تعاطف أفنانها، وحسن تواصل ثمارها وأغصانها)[١].

أما في العصر الحديث فقد برع فيه عدد من العلماء، منهم:

الإمام محمد عبده وتلميذه العلامة **رشيد رضا**، اللذان كان لهما منهج في التفسير يقوم علىٰ عدة أسس، منها:

- الوحدة الموضوعية للسورة.
- وأن فكرة السورة يجب أن تكون أساسًا في فهم آياتها.
- والموضوع يجب أن يكون أساسًا في فهم الآيات التي نزلت فيه.

وتأثر بتفسير **(المنار)** أساتذةٌ في العصر الحديث، منهم:

الشيخ محمد مصطفىٰ المراغي، والشيخ محمود شلتوت، وله تفسيره للعشرة أجزاء الأولىٰ من القرآن، حاول فيه أن يوضح أهداف السور وأغراضها[٢]، وكذلك العلامة محمد الطاهر ابن عاشور له إشارات ومحاولات مهمة في تفسيره **(التحرير والتنوير)**.

والعلامة **محمد عبد الله دراز**، الذي له إشارات مهمة في كتابه **(النبأ العظيم)**؛ فقد احتوىٰ علىٰ تفسير موضوعي مقاصدي لسورة البقرة بل يمكن عدُّه أول تفسير موضوعي لسورة كاملة، بين فيه محاور سورة البقرة والغايات التي ترمي

---

(١) مصاعد النظر للإشراف علىٰ مقاصد السور: ١/ ١٤٩. برهان الدين البقاعي. تحقيق د. عبد السميع محمد حسنين. مكتبة المعارف. الرياض. الطبعة الأولىٰ. ١٤٠٨هـ. ١٩٨٧م.

(٢) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم: ٤-٥. د. عبد الله شحاتة. طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ١٩٧٦م.

إلىٰ تحقيقها، ولعله أول تجربة في التفسير الموضوعي للسورة، والكشف عن غاياتها، يقول: (لماذا نقول إن المعاني تنتسق في السورة كما تنتسق الحجرات في البنيان؟ لا. بل إنها لتلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان، فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما، كما يلتقي العظمان عند المفصل، ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثب، كما يشتبك العضوان بالشرايين والعروق والأعصاب، ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاهٌ معين، وتؤدي بمجموعها غرضًا خاصًا، كما يأخذ الجسم قوامًا واحدًا، ويتعاون بجملته علىٰ أداء غرض واحد، مع اختلاف وظائفه العضوية)[١].

والأستاذ الشهيد **سيد قطب**، الذي برع براعة منقطعة النظير في هذا، فهو قبل بداية التفسير التفصيلي أو التحليلي لآيات السورة يرسم لنا لوحة جمالية لها، وصورة شمسية لجوانبها وأبعادها، يبين فيها الهدف الأساس والمقصد الأسمىٰ للسورة، فهذه سورة محور الحديث فيها عن وحدانية الله، وتلك تدور حول الوحي، وهذه حول اليوم الآخر، وتلك عن العقيدة، وهذه حول قيم أخلاقية تريد السورة أن ترسخها في الجماعة المؤمنة، وتلك عن الآداب الاجتماعية.. إلخ. يقول: (ومن ثم يلحظ من يعيش في ظلال القرآن أن لكل سورة من سوره شخصية مميزة! شخصية لها روح يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حي مميز الملامح والسمات والأنفاس، ولها موضوع رئيسي أو عدة موضوعات رئيسية مشدودة إلىٰ محور خاص. ولها جو خاص يظلل موضوعاتها كلها ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة، تحقق التناسق بينها وفق هذا الجو)[٢].

---

(١) النبأ العظيم: ١٥٥. د. محمد عبد الله دراز. دار الثقافة-الدوحة. ١٩٨٥م.

(٢) في ظلال القرآن: ١/ ٢٧-٢٨.

وأحيانًا يجعل الأستاذ سيد الجزء من القرآن وحدةً موضوعية واحدة، كما فعل في الجزء الثلاثين، يقول: (هذا الجزء كله - ومنه هذه السورة - ذو طابع غالب.. سوره مكية فيما عدا سورتي «البينة» و«النصر» وكلها من قصار السور علىٰ تفاوت في القصر. والأهم من هذا هو طابعها الخاص الذي يجعلها وحدة -علىٰ وجه التقريب- في موضوعها واتجاهها، وإيقاعها، وصورها وظلالها، وأسلوبها العام.. إنها طرقات متوالية علىٰ الحس. طرقات عنيفة قوية عالية. وصيحات. صيحات بنوَّم غارقين في النوم! نومهم ثقيل! أو بسكارىٰ مخمورين ثقل حسهم الخمار! أو بلاهين في سامر راقصين في ضجة وتصدية ومكاء! تتوالىٰ علىٰ حسهم تلك الطرقات والصيحات المنبثقة من سور هذا الجزء كله بإيقاع واحد ونذير واحد: اصحوا. استيقظوا. انظروا. تلفتوا. تفكروا. تدبروا.. إن هنالك إلهًا. وإن هنالك تدبيرًا. وإن هنالك تقديرًا. وإن هنالك ابتلاء. وإن هنالك تبعة. وإن هنالك حسابًا. وإن هنالك جزاء. وإن هنالك عذابًا شديدًا. ونعيمًا كبيرًا.. اصحوا. استيقظوا. انظروا. تلفتوا. تفكروا. تدبروا... وهكذا مرة أخرىٰ. وثالثة ورابعة وخامسة... وعاشرة... ومع الطرقات والصيحات يد قوية تهز النائمين المخمورين السادرين هزًا عنيفًا.. وهم كأنما يفتحون أعينهم وينظرون في خمار مرة، ثم يعودون لما كانوا فيه! فتعود اليد القوية تهزهم هزًا عنيفًا ويعود الصوت العالي يصيح بهم من جديد وتعود الطرقات العنيفة علىٰ الأسماع والقلوب.. وأحيانًا يتيقظ النوام ليقولوا: في إصرار وعناد: لا.. ثم يحصبون الصائح المنذر المنبه بالأحجار والبذاء.. ثم يعودون لما كانوا فيه. فيعود إلىٰ هزهم من جديد.. هكذا خيل إلي وأنا أقرأ هذا الجزء. وأحس تركيزه علىٰ حقائق معينة قليلة العدد، عظيمة القدر، ثقيلة الوزن. وعلىٰ إيقاعات معينة يلمس بها أوتار القلوب. وعلىٰ مشاهد معينة في الكون والنفس. وعلىٰ أحداث معينة في يوم

الفصل. وأرىٰ تكرارها مع تنوعها. هذا التكرار الموحي بأمر وقصد!)[1].

وكذلك العلامة محمد الطاهر ابن عاشور، كثيرًا ما يبين مقاصد السورة وينص علىٰ ذلك بشكل واضح، ففي سورة الفاتحة مثلًا قال: (تشتمل محتوياتها علىٰ أنواع مقاصد القرآن، وهي ثلاثة أنواع:

الثناء علىٰ الله ثناءً جامعًا لوصفه بجميع المحامد وتنزيهه من جميع النقائص.

ولإثبات تفرده بالإلهية وإثبات البعث والجزاء وذلك من قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾.

والأوامر والنواهي من قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، والوعد والوعيد من قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ﴾ إلىٰ آخرها، فهذه هي أنواع مقاصد القرآن كله، وغيرها تكملات لها)[2].

وللأستاذ الشيخ سعيد حوىٰ نظرات في كتابه (**الأساس في التفسير**)، يبين فيها كذلك ملامح السورة وجوها العام، يقول: (قد استطعت بحمد الله أن أبرهن علىٰ أن كمال القرآن في وحدة آياته في السورة الواحدة وكماله في الوحدة الجامعة التي تجمع ما بين سوره وآياته علىٰ طريقة لم يعرف لها العالم مثيلًا، ولا يمكن أن تخطر علىٰ قلب بشر)[3].

وأما الداعية العلامة الشيخ محمد الغزالي فقد قدم محاولة عن هذا النوع من

(١) في ظلال القرآن: ٦/ ٣٨٠٠. دار الشروق. القاهرة.

(٢) التحرير والتنوير: ١٣١. محمد الطاهر ابن عاشور. مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان. الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م

(٣) الأساس في التفسير: ١/ ٢٧. سعيد حوىٰ. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة. الطبعة الأولىٰ. ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م.

التفسير، وهو كتابه: (**نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**)، قال في مقدمته عن التفسير الموضوعي للسورة: إنه (يتناول السورة كلها يحاول رسم صورة شمسية لها تتناول أولها وآخرها، وتتعرف علىٰ الروابط الخفية التي تشدها كلها، وتجعل أولها تمهيدًا لآخرها، وآخرها تصديقًا لأولها... إنني أختار من الآيات ما يبرز ملامح السورة، وأترك غيرها للقارئ يضمها إلىٰ السياق المشابه؛ وذلك حتىٰ لا يطول العرض ويتشتت)[(١)].

وللأستاذ الدكتور عبد الله شحاتة كتاب بعنوان (**أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم**)، سبق النقل عنه، قال في مقدمته: (فالكتاب الذي نشاهده الآن ليس تفسيرًا حرفيًا لآيات القرآن الكريم، ولكنه ضوء يلقىٰ علىٰ أهداف السور ومقاصدها، ويوضح بعض الأحكام والآداب التي اشتملت عليها)[(٢)].

وإذا نقلنا عن هؤلاء جميعًا أمثلة دالَّة علىٰ بيان جهودهم في تلمس مقاصد كل سورة لطال المقام؛ إذ الأمر سيقتضي تتبعًا وانتقاءً وتعقيبات وتوضيحات ليس هذا موضعها.

لكننا نشير فقط في ختام هذا النوع إلىٰ أن لهذا النوع من مقاصد القرآن مقاصدَ وأغراضًا مهمة، ذكرها د. عبد الله شحاته في كتابه المشار إليه، وأجملها في خاتمة مقدمته، فقال: (وآمل أن يستفيد منه -أي الكتاب- عشاق القرآن والدارسون له، ومن يحاولون حفظه أو فهمه، فإن قراءته ستيسر عليهم هذه المهمة، فمن قرأ

---

(١) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم: ٥-٦. محمد الغزالي. دار الشروق. القاهرة. الطبعة الرابعة. ١٤٢٠هـ. ٢٠٠٠م.

(٢) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم: ٩. د. عبد الله شحاتة. طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ١٩٧٦م، وهو يقصد بالتفسير الحرفي: التفسير التحليلي.

تعريفا بسورة من السور ثم حاول حفظها أو فهمها كان أكثر إحساسًا بمعناها، وأكثر إدراكًا للروح العامة السارية بين آياتها، فيسهل الحفظ لمن أراد الحفظ، وتسهل الإحاطة بالمعنىٰ الإجمالي للآيات لمن أراد القراءة أو الفهم)[(١)].

مقاصد معرفة مقاصد سور القرآن الكريم:

ويمكن بسط مقاصد معرفة مقاصد سور القرآن الكريم بما جاء في كلام د. عبد الله شحاته في الآتي ونضيف عليه ما تيسر:

١. تيسير مهمة الفهم العام للسورة.

٢. تسكين جزئيات السورة في مقصدها العام وموضوعها الأساس.

٣. تيسير مهمة حفظ القرآن الكريم المبنية علىٰ تيسير الفهم والاستيعاب العام.

٤. تعميق الإحساس والإدراك بالروح العامة للسورة السارية بين آياتها.

٥. تُوجِّه مقاصدُ السورة المفسرَ إلىٰ ما يهتم به وما لا يهتم به.

٦. الوقوف علىٰ تناسب الآيات في السورة، قال البقاعي: (ومن حقق المقصود من السورة عرف تناسب آيها وقصصها وجميع أجزائها)[(٢)].

٧. تمثل معرفة مقاصد السور زادًا متميزًا للدعاة والخطباء حين يحدثون الناس عن سور القرآن الكريم.

رابعًا: المقاصد التفصيلية لآيات القرآن الكريم:

أما النوع الرابع من أنواع مقاصد القرآن الكريم، فهو المقاصد التفصيلية

---

(١) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم: ٩.

(٢) مصاعد النظر للإشراف علىٰ مقاصد السور: ١/ ١٤٩.

للآيات القرآنية: وهو النوع الذي يهتم بالآيات كل آية علىٰ حدة، ويحتاج المفسر هنا إلىٰ التعمق في اللغة العربية[1]، والتمكن من دلالاتها، وطرائق استعمال العرب لها، وسياقات إيرادها ودلالات هذا الإيراد في هذه السياقات، وهو ما يسمىٰ بالسياقات المقالية، وهذا له أثره الواضح في التعامل مع القرآن الكريم بما هو كتاب عربي مبين.

وهذا النوع من مقاصد القرآن يهتم بالآية ومحاولة الوقوف علىٰ مقصودها كما يهتم بالألفاظ ويتتبعها ببيان معانيها ودلالاتها، وهو نوع مبثوث في أغلب تفاسير القرآن الكريم مع التفسير الموضعي أو التفصيلي للكلمات الشريفة؛ حيث يسير المفسر مع الألفاظ مبينًا معناها، وكاشفًا عن غايتها وأوجه الدلالة منها.

إن أغلب تراثنا التفسيري -كما أسلفنا- هو من هذا النوع، حتىٰ لو انتمىٰ إلىٰ مدارس ومناهج واتجاهات مختلفة في التفسير، فأغلبه من التفسير التحليلي، الذي ينصب علىٰ بيان المراد من الآيات والكلمات، ولعل أقرب التفاسير المعاصرة التي تسعف القارئ في هذا النوع من التفسير أو هذا النوع من المقاصد، هو **(في ظلال القرآن)**، وتفسير السعدي، المسمىٰ: **(تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)**.

ومن ذلك آية الكرسي مثلًا، فهي أعظم آية في كتاب الله، والمقصود منها تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ وتوحيده، يقول سيد قطب عنها: إنها: (بيان عن وحدانية الله وحياته، وقيامه علىٰ كل شيء وقيام كل شيء به، وملكيته المطلقة لكل شيء، وعلمه المحيط بكل شيء، وهيمنته الكاملة علىٰ كل شيء، وقدرته الكاملة وحفظه لكل شيء)[2].

(١) يعد التفقه بها أحد المقومات الأساسية للتفسير المقاصدي كما ستأتي الإشارة في موضعها.

(٢) في ظلال القرآن: ١/ ٢٧٦.

وهكذا فإن للآيات القرآنية مقاصد، فقد يكون لكل آية مقصد، وقد تجتمع عدة آيات في مقصد واحد، وقد يكون في الآية الواحدة أكثر من مقصد، والأهم من هذا ألا يقع المفسر المقاصدي في التكلف فيعتسف إيجاد مقاصد لكل آية، بل يترك القرآن الكريم وآياته تتحدث عن مقاصدها.

مقاصد معرفة المقاصد التفصيلية لآيات القرآن الكريم:

وكما كان لمعرفة المقاصد العامة للقرآن الكريم فوائد، وكذلك المقاصد الخاصة بمجالاتها وموضوعاتها، وسور القرآن، فإن لمعرفة المقاصد التفصيلية لآيات القرآن الكريم مقاصد كذلك، ومن ذلك:

١- فهم الآية الكريمة علىٰ وجهها الصحيح والوقوف علىٰ حقائق مضامينها.

٢- ربط الآية بما قبلها وما بعدها في ضوء المقاصد التفصيلية لكل منها.

٣- تحقيق الاتساق بين الآية بما قبلها وما بعدها من ناحية، والاتساق العام في السورة كلها بآياتها جميعا من ناحية أخرىٰ.

٤- يكون مقصد الآية حاكمًا للمفسر في تفسيره لها، فلا يسرح في شرح الآية إلا بقدر ما يسرحه مقصدها، ويستعين في تفسيرها من العلوم بما يحقق مقصدها، ويستبعد إيراد ما لا يخدم الغرض المقصود.

٥- تحقيق المقصد من إنزال هذا القرآن كله وهو تدبره والاهتداء بما تضمنه؛ وذلك لأن التدبر لا يكون إلا بعد فهم المعاني، وهذا المقصد يصدق علىٰ أنواع مقاصد القرآن جميعا.

خامسًا: مقاصد الكلمات والحروف القرآنية:

هذا مستوىٰ آخر وربما يكون أخيرًا لمستويات أنواع المقاصد في القرآن

الكريم، وهو مقاصد الكلمات والأحرف فيه، ومن المعلوم أن الكلمات والأحرف جزء رئيس ومقوّم أساس من بنية النظم القرآني، وهي النظرية التي أرسىٰ دعائمها وشيد عمارتها الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه **(دلائل الإعجاز)**.

فالقرآن الكريم يختار من الكلمات المتكونة من حروف تتناسب أجراسها ودلالاتها وإيقاعاتها مع السياق العام للآية والسورة، وتتسق مع المقصد العام لها والأغراض التي يساق الكلام من أجلها.

وقد برع الأستاذ سيد قطب في بيان هذه الخاصية للكلمات والحروف المختارة، بل ربط فواصل الآيات بذلك أيضًا، ففي سورة مريم يقول: (والظل الغالب في الجو هو ظل الرحمة والرضىٰ والاتصال. فهي تبدأ بذكر رحمة الله لعبده زكريا: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ وهو يناجي ربه نجاء: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾.. ويتكرر لفظ الرحمة ومعناها وظلها في ثنايا السورة كثيرًا. ويكثر فيها اسم «الرَّحْمنِ». ويصور النعيم الذي يلقاه المؤمنون به في صورة ودٍّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾، ويذكر من نعمة الله علىٰ يحيىٰ أن آتاه الله حنانًا: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾. ومن نعمة الله علىٰ عيسىٰ أن جعله برًا بوالدته وديعًا لطيفًا: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا﴾.. وإنك لتحس لمسات الرحمة الندية ودبيبها اللطيف في الكلمات والعبارات والظلال. كما تحس انتفاضات الكون وارتجافاته لوقع كلمة الشرك التي لا تطيقها فطرته.. كذلك تحس أن للسورة إيقاعًا موسيقيًا خاصًا. فحتىٰ جرس ألفاظها وفواصلها فيه رخاء وفيه عمق: رضيًا. سريًا. حفيًا. نجيًا.. فأما المواضع التي تقتضي الشد والعنف، فتجيء فيها الفاصلة مشددة دالًا في الغالب. مدًّا. ضدًّا. إدًّا، هدًّا، أو زايا: عزًّا. أزًّا.

وتنوع الإيقاع الموسيقي والفاصلة والقافية بتنوع الجو والموضوع يبدو جليًا في هذه السورة. فهي تبدأ بقصة زكريا ويحيىٰ فتسير الفاصلة والقافية هكذا: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ (٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾.. إلخ.

وتليها قصة مريم وعيسىٰ فتسير الفاصلة والقافية علىٰ النظام نفسه: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧)﴾.. إلخ.

إلىٰ أن ينتهي القصص، ويجيء التعقيب، لتقرير حقيقة عيسىٰ ابن مريم، وللفصل في قضية بنوته. فيختلف نظام الفواصل والقوافي.. تطول الفاصلة، وتنتهي القافية بحرف الميم أو النون المستقر الساكن عند الوقف لا بالياء الممدودة الرخية. علىٰ النحو التالي: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.. إلخ.

حتىٰ إذا انتهىٰ التقرير والفصل وعاد السياق إلىٰ القصص عادت القافية الرخية المديدة: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا (٤٢)﴾.. إلخ.

حتىٰ إذا جاء ذكر المكذبين وما ينتظرهم من عذاب وانتقام، تغير الإيقاع الموسيقي وجرس القافية:

﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا (٧٥)﴾.. إلخ.

وفي موضع الاستنكار يشتد الجرس والنغم بتشديد الدال: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (٨٨) لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ

﴿ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾﴾.. إلخ.

وهكذا يسير الإيقاع الموسيقي في السورة وفق المعنىٰ والجو ويشارك في إبقاء الظل الذي يتناسق مع المعنىٰ في ثنايا السورة، وفق انتقالات السياق من جو إلىٰ جو ومن معنىً إلىٰ معنىً)(1).

ويعلق علىٰ كلمة: (**الصاخة**) من سورة عبس فيقول: (والصاخة لفظ ذو جرس عنيف نافذ، يكاد يخرق صماخ الأذن، وهو يشق الهواء شقًا، حتىٰ يصل إلىٰ الأذن صاخًا ملحًا! وهو يمهد بهذا الجرس العنيف للمشهد الذي يليه: مشهد المرء يفر وينسلخ من ألصق الناس به: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾)(2).

والحق أن الأستاذ سيد قطب قد أشبع هذا اللون من الحديث القرآني في انتقائه للألفاظ والحروف ومناسبة ذلك للسياق القرآني وأغراضه في كتابه: (**التصوير الفني في القرآن**)، وبخاصة في فصل (التناسق الفني)، فقد بين ألوانًا ودرجات من هذا التناسق تنبه لها البعض، وبين ألوانًا أخرىٰ لم يتحدث عنها أحد قبله، وذكر من ذلك: التنسيق في تأليف العبارات بتخير الألفاظ ثم نظمها في نسق خاص، ومن ذلك أيضًا الإيقاع الموسيقي الناشئ من تخير الألفاظ ونظمها في نسق خاص، ومنها ذلك التسلسل المعنوي بين (الأغراض) في سياق الآيات، والتناسب في الانتقال من (غرض) إلىٰ (غرض)(3).

ونتوقف هنا مع الأستاذ سيد في حديثه عن اختيار القرآن لبعض الألفاظ

---

(1) في ظلال القرآن: ٤/ ٢٣٠٠-٢٣٠١.

(2) في ظلال القرآن: ٦/ ٣٨٣٤.

(3) التصوير الفني في القرآن: ٨٧-٨٩. سيد قطب. دار الشروق. القاهرة. الطبعة السابعة عشرة. ١٤٢٥هـ. ٢٠٠٤م.

ودلالاتها في سياقها ووفائها بالغرض المقصود من السورة الكريمة، يقول: (وقد يستقل لفظ واحد -لا عبارة كاملة- برسم صورة شاخصة -لا بمجرد المساعدة علىٰ إكمال معالم صورة-. وهذه خطوة أخرىٰ في تنسيق التصوير، أبعد من الخطوة الأولىٰ، وأقرب إلىٰ قمة جديدة في التناسق. خطوة يزيد من قيمتها أن لفظًا مفردًا هو الذي يرسم الصورة، تارة بجرسه الذي يلقيه في الأذن، وتارة بظله الذي يلقيه في الخيال، وتارة بالجرس والظل جميعًا.

تسمع الأذن كلمة (**اثّاقلتم**) في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ فيتصور الخيال ذلك الجسم المثاقل، يرفعه الرافعون في جهد، فيسقط من أيديهم في ثقل. إن في هذه الكلمة (**طنًا**) علىٰ الأقل من الأثقال! ولو أنك قلت: تثاقلتم، لخف الجرس، ولضاع الأثر المنشود، ولتوارت الصورة المطلوبة التي رسمها هذا اللفظ، واستقل برسمها.

وتقرأ: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ فترتسم صورة التبطئة في جرس العبارة كلها - وفي جرس (**ليبطئن**) خاصة. وإن اللسان ليكاد يتعثر، وهو يتخبط بها، حتىٰ يصل ببطء إلىٰ نهايتها!

وتتلو حكاية قول هود: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾، فتحس أن كلمة (**أنلزمكموها**) تصور جو الإكراه بإدماج كل هذه الضمائر في النطق، وشد بعضها إلىٰ بعض، كما يدمج الكارهون مع ما يكرهون، ويشدون إليه وهم منه نافرون!.. وهكذا يبدو لون من التناسق أعلىٰ من البلاغة الظاهرية، وأرفع من الفصاحة اللفظية، اللتين يحسبهما بعض الباحثين في القرآن -قديمًا وحديثًا- أعظم مزايا القرآن!

وتسمع كلمة: (**يصطرخون**) في الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ

عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾. فيخيل إليك جرسها الغليظ، غلظ الصراخ المختلط المتجاوب من كل مكان، المنبعث من حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة؛ كما تلقي إليك ظل الإهمال لهذا الاصطراخ الذي لا يجد من يهتم به أو يلبيه. وتلمح من وراء ذلك كله صورة ذلك العذاب الغليظ الذي هم فيه يصطرخون، وحين يستقل لفظ واحد بهذه الصورة كلها يكون ذلك فنًا من التناسق الرفيع.

ومثلها كلمة (عتل) في تمثيل الغليظ الجافي المتنطع: ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾. فإذا سمعت: ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾، صورت لك كلمة (بمزحزحه) -المقدمة في التعبير على الفاعل لإبرازها- صورة الزحزحة المعروفة كاملة متحركة، من وراء هذه اللفظة المفردة، وكذلك قوله: ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾. فكلمة (فكبكبوا) يحدث جرسها صوت الحركة التي تتم بها)[1].

وهكذا يتجلى الإعجاز القرآني في اختياره للألفاظ والعبارات والحروف الخادمة للمعنى والمتسقة مع الغرض المقصود، وهو فن من التناسق رفيع، كما يقول صاحب التصوير والظلال.

مقاصد معرفة مقاصد الكلمات والأحرف القرآنية:

إن لمعرفة خصائص الكلمات ومقاصد اختيارها وكذلك الحروف في الآيات القرآنية له مقاصد مهمة، منها:

١- تذوق البلاغة الآسرة للقرآن الكريم.

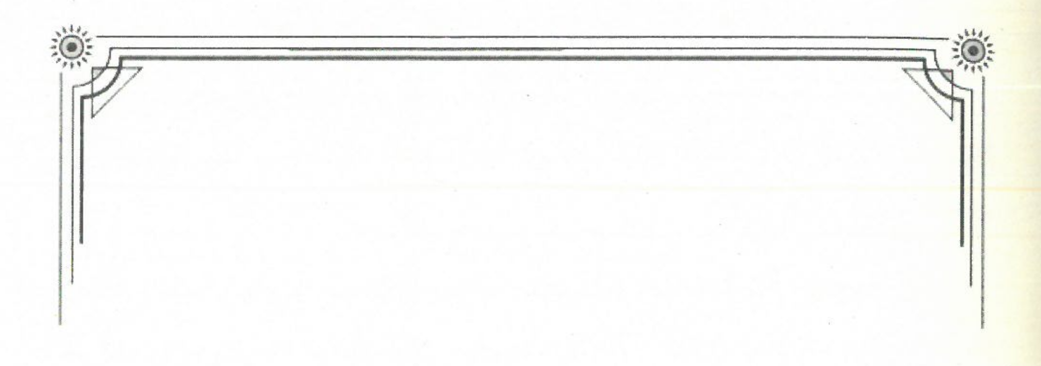
(١) التصوير الفني في القرآن: ٩١-٩٣.

٢- زيادة الإيمان بأن هذا القرآن كلام الله وليس كلام بشر.

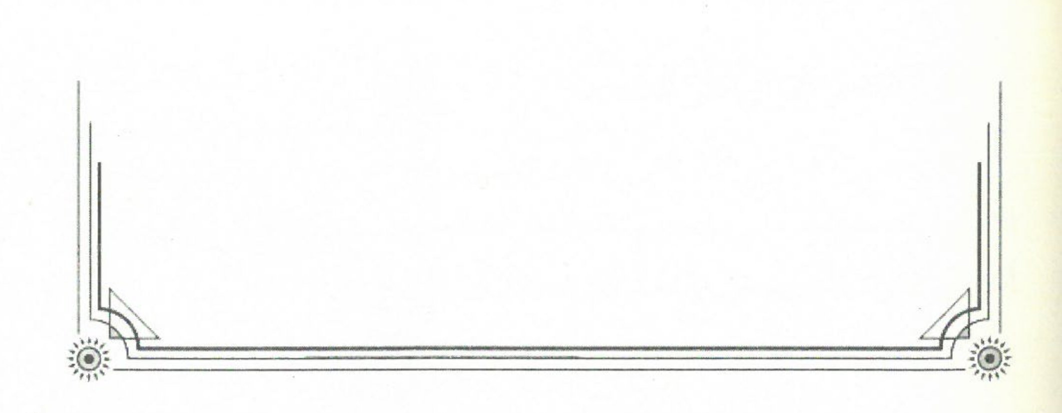
٣- إدراك التناسق المدهش بين الحروف والكلمات والآيات والسورة كلها، فلا غرابة ولا شذوذ ولا تنافر بين الألفاظ والحروف المنتقاة من جهة، وبين أغراض السياق ومقاصد السورة من جهة أخرى.

٤- تعظيم قدر القرآن في قلب المؤمن وتوثيق العلاقة به ومضاعفة حبه.

٥- الوقوف على أهمية دراسة اللغة العربية بمستوياتها المختلفة من أصوات ونحو وصرف وبلاغة وأسلوب ودلالات في تذوق القرآن وتدبره وتحقيق السعادة به.



المبحث الثالث
مسالك الكشف عن مقاصد القرآن الكريم



المبحث الثالث: مسالك الكشف عن مقاصد القرآن الكريم:

كيف نكتشف مقاصد القرآن الكريم؟ هل كل ما يقال عنه مقصد قرآني يتم اعتماده والعمل به وتفعيله والبناء عليه؟ أم أن هناك طرقًا ومسالك للكشف عن مقاصد القرآن الكريم؟

من المعلوم أن لمقاصد الشريعة مسالك للكشف عنها، وكذلك مقاصد المكلفين لها مسالكها، كما أن العلة الأصولية لها مسالكها الموجودة في مدونات أصول الفقه، فكيف لا يكون للقرآن الكريم -وهو كتاب الكتب، ودليل الأدلة، وعمدة الملة- مسالك للكشف عن مقاصده وغاياته؟!

إن البحث في مسالك الكشف عن مقاصد القرآن هو مبحث ضابط لاستخراج المقاصد القرآنية وتحصيلها، وهو يُسلِّم إلىٰ العمل الصحيح والتفعيل السليم لها، فهي خطوة أساسية إذا صحت صح ما بعدها، وإذا كانت خطأ اضطرب المفسر المقاصدي وأساء من حيث أراد الإحسان.. ومن هنا نريد أن نحمي مبحث مقاصد القرآن من اللعب به، أو أن يكون مدخلًا لهدم النصوص القرآنية بدعوىٰ المقاصد كما يفعل بعض أدعياء مقاصد الشريعة في هذا العصر.

والمسالك التي نراها سبيلًا للكشف عن مقاصد القرآن الكريم أربعة، هي: **النص القرآني علىٰ المقصد، والاستقراء، والاستنباط، وتجارب علماء القرآن وجهودهم في هذا الباب.**

أولًا: النص القرآني علىٰ المقصد:

لا يفصح أحد عن أغراض كلامه كما يفصح هو، فالإنسان هو المصدر الأول لبيان مقصوده من كلامه، والله -تعالىٰ شأنه، وله المثل الأعلىٰ- هو الذي أخبر في القرآن الكريم عن مقاصد القرآن الكريم.

ففي المقاصد العامة التي أوردناها من قبل عن أستاذنا الريسوني من الهداية

والرحمة والسعادة وتقويم الفكر وغيره، كل هذا أخبر عنه القرآن الكريم بوضوح، ونص عليه في آياته الكريمة.

ففي مقصد توحيد الله وعبادته يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢) وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾ [هود].

ويقول تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (١) إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر].

وفي مقصد الهداية الدينية والدنيوية للعباد يقول جل شأنه:

﴿ الٓمٓ (١) ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة].

ويقول سبحانه: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ويقـــول: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة].

ويقول عز شأنه: ﴿ الٓمٓ (١) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ (٣) مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ [آل عمران].

ويقول سبحانه: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة].

ويقول تبارك اسمه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩) ﴾ [الإسراء].

وفي مقصد التزكية وتعليم الحكمة يقول الله تعالى:

﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة].

ويقول: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ (١٥١) ﴾ [البقرة].

ويقول عز وجل: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (١٦٤) ﴾ [آل عمران].

وفي مقصد الرحمة والسعادة يقول جل شأنه:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ (١٠٧) ﴾ [الأنبياء].

ويقول: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء].

ويقول سبحانه: ﴿ طه (١) مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ (٢) إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ (٣) ﴾ [طه].

ويقول عز شأنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال].

وهذه الآيات في كل مقصد علىٰ سبيل التمثيل فقط وليست علىٰ سبيل الحصر، وهناك آيات أخرىٰ تنص علىٰ كل مقصد من المقاصد السابقة، وهناك مقاصد أخرىٰ عامة للقرآن الكريم تحدث عنها القرآن بنفسه ونص عليها، مثل:

- مقصد إقامة الحق والعدل.

- ومقصد إخراج الناس من الظلمات إلىٰ النور، وغير ذلك من مقاصد تحدث القرآن عنها حديثًا واضحًا مباشرًا.

ويعتبر هذا المسلك هو أول المسالك التي يجب أن تعتمد في الكشف عن مقاصد القرآن الكريم العامة، وكذلك المقاصد الخاصة التي تتحدث عن مجالات أو موضوعات، فقد ينص القرآن الكريم في ثنايا حديثه عن موضوع في طول القرآن وعرضه أو مجال من المجالات علىٰ مقصده أو مقاصده، كما أوردنا عن الزواج سابقًا، فهنا يقطع القرآن الكريم بأن المقاصد في هذا المجال أو هذا الموضوع ما ذكره هو وقرره هو، ومن ثم يكون هذا المسلك هو أقوىٰ المسالك وأولاها؛ إذا القرآن نفسه هو الذي يتحدث عن مقاصده، وهذا يقطع الطريق علىٰ ظنية المقاصد أو احتماليتها، ويقرر ثبات المقصد وظهوره ووضوحه بيقين.

ثانيًا: الاستقراء:

الاستقراء -كما هو معلوم- تتبع الجزئيات لاستخراج حكم كلي أو قاعدة عامة، وقد عرفه أبو حامد الغزالي باصطلاح المنطق فقال: (هو أن تتصفح جزئيات كثيرة داخلة تحت معنىٰ كلي، حتىٰ إذا وجدت حكمًا في تلك الجزئيات حكمت علىٰ ذلك الكلي به)[1].

(١) معيار العلم في فن المنطق: ١٤٨. لأبي حامد الغزالي. شرحه أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الثانية. ٢٠١٣م.

ووصفه العلامة الطاهر ابن عاشور بأنه أعظم الطرق، وهو علىٰ نوعين:

الأول -ووصفه بأنه أعظمها-: وهو استقراء علل كثيرة متماثلة تفضي إلىٰ حكمة متحدة نجزم بأنها مقصد شرعي.

الثاني: استقراء أدلة أحكام اشتركت في علة بحيث يحصل لنا اليقين بأن تلك العلة مقصد مراد للشارع[1]، وينقسم إلىٰ **استقراء تام، واستقراء ناقص**.. وهو مسلك من مسالك الكشف عن مقاصد الشريعة ومقاصد القرآن الكريم، وأحسب أن أي مقاصد عامة وخاصة لأي علم من العلوم تحتاج إلىٰ الاستقراء مسلكا للكشف عنها.

الاستقراء مسلكًا للكشف عن المقاصد العامة:

وفي باب المقاصد القرآنية فإن الاستقراء يكون مسلكًا للكشف عن أنواع المقاصد جميعًا عدا النوعين الأخيرين وهما: **المقاصد التفصيلية للآيات القرآنية، ومقاصد الكلمات والحروف**؛ إذ يقوم علىٰ الاستنباط من خلال الألفاظ ودلالاتها، واستعمالات العرب لها.

وهو ما يذكرنا بمسالك الكشف عن مقاصد الشريعة في **المقاصد العامة والمقاصد الخاصة**؛ إذ سبيلهما الاستقراء، في حين أن المقاصد الجزئية سبيل الكشف عنها قائم علىٰ الاستنباط في مجمله[2].

فالمقاصد العامة للقرآن الكريم التي أسلفنا ذكرها في أول نوع من أنواع مقاصد القرآن سبيلها استقراء آيات القرآن الكريم نفسه، فالقرآن تحدث عن

(١) مقاصد الشريعة: ١٧-١٨. طبعة دار السلام.

(٢) راجع كتابنا: المقاصد الجزئية ضوابطها حجيتها وظائفها أثرها في الاستدلال الفقهي: ٣٠٤-٣٥٨. دار المقاصد. القاهرة. الطبعة الأولىٰ. ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

نفسه، وبين بنفسه غاياتِه ومقاصدَه، ليس في آية واحدة، وإنما في عدد من الآيات؛ إذ القرآن الكريم مقاصده متعددة ومتنوعة لا تحصرها آية واحدة، ولا نستطيع أن نقف علىٰ مقاصد القرآن جميعًا إلا عبر استقراء تام لآياته جميعًا بشكل دقيق ووفق منهج وخطة مدروسة بحيث لا يند عنه شيء.

والاستقراء بما هو مسلك للمقاصد العامة للقرآن يكون علىٰ طريقتين:

- طريقة لاستقراء هذه المقاصد من القرآن الكريم، وحصرها، وتصنيفها..

- وطريقة لاستقراء ما يتصل بكل مقصد من الآيات القرآنية في القرآن كله، وقد تكون الطريقة الثانية من التفسير الموضوعي.. فلو اتخذنا مثالًا لذلك (وحدانية الله وإفراده بالعبودية) مقصدًا عامًا من مقاصد القرآن، وتوخينا البحث عنه في القرآن الكريم كله، لظهرت لنا رؤية القرآن الكريم لهذا المقصد، من حيث **ماهيته، وطبيعته، وأنواعه، وطرقه، وقواعده، وموانعه، وفوائده**... إلخ.

الاستقراء مسلكًا للكشف عن المقاصد الخاصة:

والمقاصد الخاصة كذلك، سواء أردنا بها مقاصد المجالات والدوائر، أم مقاصد الموضوعات في القرآن كله أو سورة من سوره..

فسبيل الكشف عن المقاصد القرآنية هنا: هو جمع الآيات الواردة في المجال أو الموضوع، وتصنيفها، وتمييز المكي عن المدني لملاحظة المرحلة أو كيفية تحقيق هذا المقصد أو طريقة بنائه..

ومن هنا نستطيع أن نكتشف المقصد أو المقاصد من مجال أو موضوع.

وما سقناه في المقاصد الخاصة عند المجالات من مثال بالزواج يوضح هذا الأمر، وهكذا في كل موضوع أو مجال.

الاستقراء مسلكًا للكشف عن مقاصد السور:

بعض الباحثين المعاصرين في التفسير جعل مقاصد السور علمًا مستقلًا[1] له أهميته، وأدلته، وتأصيله، وأهميته في التفسير، وطرق الكشف عنه.

ومن أهم الطرق التي يكشف بها عن مقصد السورة هو الاستقراء؛ حيث يستقرئ المفسر موضوعات السورة، وجزئياتها، ويجتهد في الوصول إلىٰ هدف عام أو مقصد واضح تتناوله كل هذه الجزئيات، وهو عمل يحتاج مزيدًا من التدبر والتأمل، والجهد المبذول، والعيش الخاص مع القرآن: تلاوة وتدبرًا وعملًا وحبًا وديمومةً، ومن قبل ومن بعد توفيق الله تعالىٰ.

ومن الطرق المهمة للكشف عن مقاصد السور التأمل في اسم السورة، وأن يكون موضوع السورة ظاهرًا من مطلعها وفواتحها، فيظهر للمفسر أن السورة مبنية علىٰ أولها، وفواتحها مؤثرة في موضوعها ومقصودها.

مثال ذلك: (سورة القيامة)، فإن مطلعها: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١﴾ [القيامة:١]، ثم إن كل ما فيها هو ذكر لأحوال يوم القيامة وما يسبقه من الموت، ووسائل الإيمان بيوم القيامة.

وفي هذا المسلك المهم من مسالك الكشف عن مقاصد السور يقول البقاعي في كتابه (**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**): (وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلىٰ سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب أن اسم كل سورة مُترجِم عن مقصودها لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة

(١) من هؤلاء الدكتور محمد الربيعة، الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم، الذي نشر بحثًا قيمًا بعنوان: (**علم مقاصد السور**)، تحدث فيه عن أهميته ومنزلته في التفسير، وتأصيله وأدلته، وعناية العلماء بمقاصد السور، وطرق الكشف عن مقاصد السور.

بينه وبين مسمَّاه عنوانه الدال إجمالاً علىٰ تفصيل ما فيه)[١].

وقد أورد د. محمد الربيعة عددًا من الأمور بلغت ثلاثة عشر مسلكًا يُحتاج إليها ويُعتمد عليها في الوصول إلىٰ مقصد السورة، هي:

- الفهم الصحيح للمقصد وحده وضابطه.

- وتدبر كلام الله بإدامة النظر ودقة التأمل فيه.

- وإخلاص النية في طلب فهم كلام الله تعالىٰ.

- والدعاء الصادق.

- ومعرفة مقدمات السورة من أحوال نزولها وفضائلها وخصائصها.

- ومعرفة مقاصد القرآن العامة والانطلاق منها في تحديد مقصد كل سورة.

- والنظر في اسم السورة وما ورد من أسمائها وإمعان النظر في الرابط بينها.

- والاطلاع علىٰ الآثار الواردة عن السلف في بيان ما أنزلت فيه السورة وما يكون منطلقًا لتحديد مقصدها.

- والنظر في افتتاحية السورة وخاتمتها والتأمل في الرابط بينها.

- والنظرة الكلية للسورة ومراعاة سياقها العام والمناسبات والروابط فيها.

- وإمعان النظر في دلالات الكلمات والألفاظ وسر اختيارها وما يتكرر في السورة من الألفاظ والأحرف.

- والمعايشة الروحية الحية للسورة.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ١/ ١١-١٢. برهان الدين البقاعي. تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي. دار الكتب العلمية -بيروت- ١٤١٥هـ. ١٩٩٥م.

- والمدارسة والمباحثة بين شخصين أو أكثر في بيت من بيوت الله تعالىٰ.

- والاستعانة ببعض الكتب والتفاسير التي تعتني بمقاصد السور[١].

وكما يبدو أن هذه الأمور كلها لا تصلح أن تتمحض للمسلكية أو الطرقية في الكشف عن المقاصد، وإنما يصلح للكشف عن مقاصد السور وغيره، وقد لا يصلح مسلكًا، فبعضها يرجع إلىٰ معانٍ تربوية في التعامل مع القرآن، مثل: المعايشة الروحية، والمدارسة مع صديق، وإخلاص النية والدعاء الصادق، وبعضها شروط وضوابط لصحة مقصد السورة وسلامته، مثل: الفهم الصحيح للمقصد وحده وضابطه، والانطلاق من المقاصد العامة للقرآن، والأمر يحتاج لتحرير وتحقيق وتمحيص رغم الجهد المتميز المبذول في هذا البحث.

ثالثًا: الاستنباط:

مسلك الاستنباط ليس بمعزل عن الاستقراء، فبعد تمام الاستقراء لا يقف المفسر أو الفقيه عنده، أو يكتفي به، وإنما ينظر فيما جمعه واستقرأه نظر المستنبط المتدبر المتأمل، سواء أكان ذلك مع المستوىٰ أو النوع الأول وهو المقاصد القرآنية العامة، أم المقاصد القرآنية الخاصة؛ فضلًا عن النوع الأخير من أنواع مقاصد القرآن، وهو المقاصد التفصيلية للآيات القرآنية، فهو قائم بالدرجة الأولىٰ علىٰ الاستنباط بمنهجه وقواعده المقررة، من خلال النظر في الألفاظ ودلالاتها وما وُضعت له استعمالًا وفهمًا.

وبعد النظر في المجموع من الآيات المستقراة يتبين للناظر أو المستنبط من خلال عملية الاستنباط أمور لم تكن لتبدو له دون جمع الآيات ودون نظر شرعي سديد فيها -وبخاصة إذا استقرأ ما في الآيات من قراءات- فإن في ذلك توضيحًا

---

(١) علم مقاصد السور: ٤٧-٥٨. د. محمد الربيعة. الطبعة الأولىٰ. ١٤٢٣هـ. ٢٠١١م.

لمبهم أو رواية أخرىٰ فيها زيادة توضح المقصود من الحكم، أو رواية أخرىٰ تخصص عام الأولىٰ أو تقيد مطلقها، ونحو ذلك؛ فهذا مسلك ضروري في التعامل مع القرآن الكريم والسنة النبوية علىٰ السواء.

يقول الإمام ابن حزم: (ولا يجوز لأحد أن يأخذ ببعض النص الوارد دون بعض... فلا يجوز أن يفصل شيء من ذلك في الحكم عن بيانه، كما لا يحل لأحد أن يأخذ القائل لا إله إلا الله في بعض كلامه دون بعض؛ فيقضي عليه بقوله لا إله بالكفر لكن نضم كلامه كله بعضه إلىٰ بعض فنأخذه بكلامه، وكذلك إذا نزلت الآية المجملة أتىٰ بعقبها الأحاديث المفسرات، فكان ذلك مضمومًا بعضه إلىٰ بعض، ومستثنىٰ بعضه من بعض، ومعطوفًا بعضه علىٰ بعض)(١).

وقد صرح العلامة ابن القيم: بأن هذا باب عجيب من فهم القرآن لا يتنبه له إلا النادر من أهل العلم؛ فإن الذهن قد لا يشعر بارتباط هذا بهذا وتعلقه به(٢)، وعد الإمام الشاطبي ذلك من مسلك الأئمة الراسخين(٣)، ويصور الشريعة تصويرًا بديعًا بأنها كالإنسان الصحيح السوي؛ فكما أن الإنسان لا يكون إنسانًا حتىٰ يُستنطق فينطق لا باليد وحدها، ولا بالرجل وحدها، ولا بالرأس وحده، ولا باللسان وحده، بل بجملته التي سمي بها إنسانًا، كذلك الشريعة لا يطلب منها الحكم علىٰ حقيقة الاستنباط إلا بجملتها، لا من دليل منها أي دليل كان، وإن ظهر لبادي الرأي نطق ذلك الدليل، فإنما هو توهمي لا حقيقي، كاليد إذا استنطقت فإنما تنطق توهما لا حقيقة، من حيث علمت أنها يد إنسان لا من حيث

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام: ٣/ ٣٦٣-٣٦٤. علي بن أحمد بن حزم الأندلسي أبو محمد. دار الحديث. القاهرة. الطبعة الأولىٰ. ١٤٠٤هـ.

(٢) إعلام الموقعين: ١/ ٤١٧.

(٣) الاعتصام: ٢/ ٥٠-٥١. لأبي إسحاق إبراهيم بن موسىٰ الشاطبي. ضبط نصه وقدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه مشهور بن حسن آل سلمان. مكتبة التوحيد. د. ط. د. ت.

هي إنسان؛ لأنه محال، فشأن الراسخين تصور الشريعة صورة واحدة يخدم بعضها كأعضاء الإنسان إذا صورت صورة مثمرة، وشأن متبعي المتشابهات أخذ دليل ما -أيًا كان- عفوًا وأخذًا أوليًا، وإن كان ثَمَّ ما يعارضه من كلي أو جزئي(١).

رابعًا: تجارب علماء القرآن وجهودهم:

هذا مسلك مهم من مسالك الكشف عن مقاصد القرآن، وإن لم يكن معصومًا، أو في قوة المسالك السابقة، لكن له اعتباره بما لهؤلاء العلماء من خبرة وعلم وتجربة (فالعلماء الذين أفنوا أعمارهم في تدبر كلام الله وكلام رسوله، وفي تقليب النظر في أحكام الشرع وهديه -وخاصة منهم المفسرين- لهم كامل الأهلية والصلاحية ليخبرونا بما استقرأوه وما حصلوه من مقاصد الكتاب العزيز. ولهم كامل الحق علينا أن ننصت إليهم ونأخذ عنهم)(٢).

وما أحسن ما عبر به العز بن عبد السلام عن هذا المعنىٰ حين قال: (ومن تتبع مقاصد الشرع في جلب المصالح ودرء المفاسد حصل له من مجموع ذلك اعتقاد أو عرفان بأن هذه المصلحة لا يجوز إهمالها، وأن هذه المفسدة لا يجوز قربانها، وإن لم يكن فيها إجماع ولا نص ولا قياس خاص، فإن فهم نفس الشرع يوجب ذلك، ومثل ذلك أن من عاشر إنسانًا من الفضلاء الحكماء العقلاء، وفهم ما يُؤْثره ويكرهه في كل وِرْدٍ وصَدْر ثم سنحت له مصلحةٌ أو مفسدة لم يعرف قوله فيها، فإنه يعرف بمجموع ما عهده من طريقته وألفه من عادته أنه يُؤْثر تلك المصلحة، ويكره تلك المفسدة)(٣).

---

(١) السابق: ٢/ ٥١-٥٢.

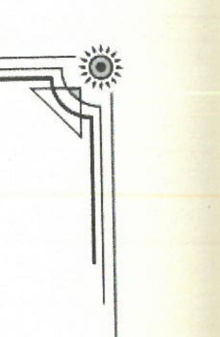
(٢) مقاصد المقاصد: ٢٢.

(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: ٢/ ١٦٠. تحقيق: محمود بن التلاميذ الشنقيطي. دار المعارف. بيروت. لبنان. بدون تاريخ. أو ٢/ ٣٢٧. طبعة مؤسسة الريان.

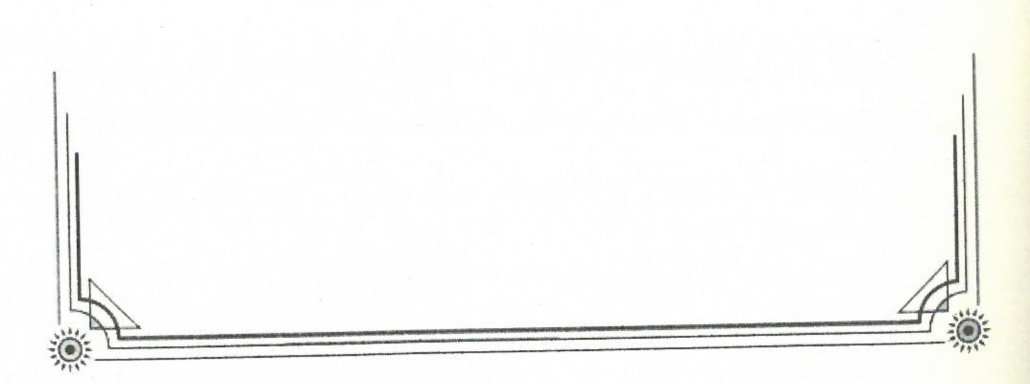
فمن عايش القرآن الكريم، وعمل به، ودعا إليه، وجاهد في سبيله، لا شك يكون له من معرفة القرآن واستبطان معانيه واستنباط أغراضه ما لا يكون لغيره، وتتكوّن لديه ملكة عامة كلية تمكّنه وتتيح له من الإمكانات والأفق ما يستطيع أن يحدد به أن القرآن الكريم يرمي إلىٰ كذا، أو يقصد من هذا كذا وكذا، أو أن نظرة القرآن لهذا الموضوع تهدف إلىٰ غايات ومقاصد كذا وكذا..

وهي ملكة تتكون لديه من طول عشرته للقرآن وتعامله معه وتدبره له، كما يتكون لدىٰ الفقيه والمجتهد ملكة الاستنباط من طول معايشته للشريعة بقواعدها وضوابطها، بمصادرها ومواردها، بأصولها وفقهها، باتفاق فقهائها واختلافهم، ونحو ذلك.

وقد أشرنا في الحديث عن المقاصد العامة للقرآن الكريم إلىٰ عدد ممن اهتموا بها وقضوا أعمارهم مع القرآن وفي خدمته وتحت رايته، أورد كثيرا منهم الأستاذ **الريسوني** في كتابه (**مقاصد المقاصد**)، وأورد الدكتور مسعود بودوخة عددًا كبيرًا منهم في بحثه: (**جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن الكريم**).



المبحث الرابع
مقومات المفسر المقاصدي



المبحث الرابع: مقومات المفسر المقاصدي:

ذكر علماء التفسير شروطًا وآدابًا للمفسر في مصنفات علوم القرآن لا يمكنه أن يتصدىٰ لمهمة تفسير القرآن إلا إذا تحقق بهذه الشروط وتلك الآداب، ولكي يتأهل المفسر للنظر المقاصدي في القرآن الكريم بأنواعه، فلا بد أن يحوز -إلىٰ جوار الشروط والآداب الأخرىٰ- عددًا من المقومات التي تمكنه من هذا النوع من النظر في القرآن الكريم، ومن هذه المقومات:

أولًا: فهم اللغة العربية وآدابها واستعمالاتها.

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وكذلك السنة النبوية التي تولت تفصيله وبيانه، فمن لم يتفقه في اللغة العربية بألفاظها وأساليبها، ودلالاتها، واستعمالات العرب لها لم يكن علىٰ بصيرة بالوقوف علىٰ مرامي الألفاظ ومعانيها، وهي خطوة أولىٰ ومقوم أساس وضروري لأي تعامل مع القرآن الكريم، وكذلك السنة النبوية، والفقه والاجتهاد؛ فضلًا عن التعامل المقاصدي.

قال الإمام الشافعي بعدما تحدث عن لسان العرب وأهميته: (وإنما بدأتُ بما وصفت من أن القران نزل بلسان العرب دون غيره؛ لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب وكثرة وجوهه وجماع معانيه وتفرقها، ومن علمه انتفت عنه الشبه التي دخلت علىٰ من جهل لسانها)[1].

ويبين الإمام الشاطبي أهمية العلم بالعربية لفقه الشريعة -والقرآن هو عماد الشريعة وأصل أصولها ومصدر مصادرها- فيتحدث عن عربية الشريعة قائلًا: (وإذا كانت عربية فلا يفهمها حق الفهم إلا من فهم اللغة العربية حق الفهم؛ لأنهما

---

(١) الرسالة: فقرة رقم (١٦٩)، وانظر الفقرات: (١٧٣-١٧٦)، وانظر: الموافقات للشاطبي: ٤/ ١٩-٢٠. تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان. دار ابن عفان الطبعة: الطبعة الأولىٰ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

سيان في النمط ما عدا وجوه الإعجاز، فإذا فرضنا مبتدئًا في فهم العربية فهو مبتدئ في فهم الشريعة، أو متوسطا؛ فهو متوسط في فهم الشريعة والمتوسط لم يبلغ درجة النهاية، فإن انتهىٰ إلىٰ درجة الغاية في العربية كان كذلك في الشريعة؛ فكان فهمه فيها حجة كما كان فهم الصحابة وغيرهم من الفصحاء الذين فهموا القرآن حجة، فمن لم يبلغ شأوهم؛ فقد نقصه من فهم الشريعة بمقدار التقصير عنهم، وكل من قصر فهمه لم يعد حجة، ولا كان قوله فيها مقبولًا، فلا بد من أن يبلغ في العربية مبلغ الأئمة فيها؛ كالخليل، وسيبويه، والأخفش، والجرمي، والمازني ومن سواهم)[(١)].

والمطلوب من الفقه بالعربية هو مجمل العلم باللسان العربي، قال الشاطبي: (ولا أعني بذلك النحو وحده، ولا التصريف وحده، ولا اللغة، ولا علم المعاني، ولا غير ذلك من أنواع العلوم المتعلقة باللسان، بل المراد جملة علم اللسان ألفاظًا أو معاني كيف تصورت)[(٢)].

هذه الأقوال -وغيرها كثير- تدلنا دلالة واضحة علىٰ ضرورة فهم اللغة العربية ولسان العرب، وأساليبهم واستعمالاتهم للألفاظ والعبارات ودلالاتها؛ سبيلا لفهم القرآن الكريم والوقوف علىٰ أسراره وقيمه ومبادئه، ومعانيه ومقاصده.

والناظر في تاريخنا التفسيري والفقهي والأصولي بل في تاريخ الإسلام العلمي والثقافي لن تستوعب ذاكرته ممن خدم الأمة وجدد العلوم والدين، وبقي علمُه نافعا للأمة، وقادرا علىٰ استيعاب مفاهيم الإسلام ومبادئه ومقاصده وتصوراته، وأكثر قدرة علىٰ التعبير عن هذا كله، وأعمق فعالية في استيعاب الواقع بمستجداته ونوازله - إلا من كان عالمًا باللغة العربية وآدابها، فما من عالم يصدق عليه الوصف السابق إلا كان له من العربية وآدابها أكبر الحظ وأوفر النصيب.

---

(١) الموافقات: ٥/ ٥٣.

(٢) الموافقات: ٥/ ٥٢.

فهذا الإمام الشافعي أحد مجددي الإسلام، وهذا الإمام ابن حزم، والإمام عز الدين بن عبد السلام، والإمام القرافي، والإمام ابن تيمية، والإمام ابن القيم، والإمام الشاطبي، والإمام المقري، والإمام ابن دقيق العيد، وولي الله الدهلوي، وعبد الحميد الفراهي، وغيرهم كثير.

ومن المعاصرين: محمد عبده، ورشيد رضا، أبو الحسن الندوي، وسيد قطب، وعبد الرحمن السعدي، وعبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمي، وسعيد النورسي، ومحمد الطاهر ابن عاشور، وعلي الطنطاوي، ومحمد بن الصالح العثيمين، ومصطفىٰ الزرقا، ومحمد عبد الله دراز، وعبد الستار فتح الله سعيد، ويوسف القرضاوي، ومحمد الغزالي، ومحمد متولي الشعراوي، وغيرهم.

كل هؤلاء كانت لهم صولات وجولات مع العربية بفروعها وآدابها، وكان لهم اهتمام بالشعر والنثر، بل إن بعضهم له دواوين شعرية.. فهؤلاء -المهتمين بالعربية وآدابها- هم أبرز العلماء في التعامل مع النص الشرعي، وأقرب الفقهاء للفهم الصحيح، وأقدر المفسرين علىٰ التعبير عن حقائق الإسلام ومقاصده ورد أباطيل خصومه!

ثانيًا: تدبر القرآن الكريم وإرادة العيش به.

ومن المقومات المهمة التي يجب توافرها للتأهيل للنظر المقاصدي في القرآن الكريم هي تدبر القرآن والعيش معه، فبغير التدبر كيف نفهم؟ وبغير الشعور بهدايات القرآن وآياته وتفسير الواقع بها ولها كيف نستطيع فهم القرآن؟

ولهذا قال الله تعالىٰ مبينا أن الغاية من نزول القرآن هي أن يقرأه الناس، ويتدبره الناس: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة ص].

قال الإمام الشاطبي: (فالتدبر إنما يكون لمن التفت إلىٰ المقاصد، وذلك ظاهر في أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن؛ فلم يحصل منهم تدبر)(١).

وقال عز من قائل: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء].

وقال جل شأنه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد].

قال الإمام القرطبي: (فالواجب علىٰ من خصه الله بحفظ كتابه أن يتلوه حق تلاوته ويتدبر حقائق عبارته ويتفهم عجائبه ويتبين غرائبه قال الله تعالىٰ: ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾. وقال الله تعالىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾.

جعلنا الله ممن يرعاه حق رعايته، ويتدبره حق تدبره، ويقوم بقسطه، ويوفي بشرطه، ولا يلتمس الهدىٰ في غيره، وهدانا لأعلامه الظاهرة وأحكامه القاطعة الباهرة، وجمع لنا به خير الدنيا والآخرة، فإنه أهل التقوىٰ وأهل المغفرة)(٢).

ومما يتصل بهذا أيضًا -وإن كان إيراده في سياق دعوي وتربوي أوقع وألصق- أن يقرأ المسلم كتاب الله كأنه يعيش في عصر الرسالة وزمن التنزيل، فإن هذا أدعىٰ للخشوع والتدبر واستيعاب ما يقدر عليه من معان وأسرار، واستصحاب الظروف والسياقات والحالة التي نزلت فيها الآيات، ويعرض كل هذا علىٰ عقله وقلبه.

(١) الموافقات: ٤/ ٢٠٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٢. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي. تحقيق: هشام سمير البخاري. دار عالم الكتب. الرياض. المملكة العربية السعودية. ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

وقد سئل الإمام حسن البنا عن أفضل التفاسير وأقرب طرق الفهم لكتاب الله تبارك وتعالىٰ.

فكان جوابه: (**قلبك**، فقلب المؤمن ولا شك هو أفضل التفاسير لكتاب الله تبارك وتعالىٰ، وأقرب طرائق الفهم؛ أن يقرأ القارئ بتدبر وخشوع، وأن يستلهم الله الرشد والسداد، ويجمع شوارد فكره حين التلاوة، وأن يلم مع ذلك بالسيرة النبوية المطهرة، ويعنىٰ بنوع خاص بأسباب النزول وارتباطها بمواضعها من هذه السيرة، فسيجد في ذلك أكبر العون علىٰ الفهم الصحيح السليم.. وإذا قرأ في كتب التفسير بعد ذلك فلِلْوقوف علىٰ معنىٰ لفظ دق عليه أو تركيب خفىٰ أمامه معناه أو استزادة من ثقافة تعينه علىٰ الفهم الصحيح لكتاب الله، فهي مساعدات علىٰ الفهم، والفهم بعد ذلك إشراق ينقدح ضوؤه في صميم القلب)(١).

ومن وصايا الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رَحِمَهُ ٱللَّهُ لبعض تلامذته: (وأدم قراءة القرآن، وافهم أوامره ونواهيه، ومواعظه وعِبَره كما كان يتلىٰ علىٰ المؤمنين أيام الوحىٰ، وحاذر النظر إلىٰ وجوه التفاسير إلا لفهم لفظ غاب عنك مراد العرب منه، أو ارتباط مفرد بآخر خفي عليك متصلُه، ثم اذهب إلىٰ ما يشخصك القرآن إليه، واحمل نفسك علىٰ ما يحمل عليه).

ولا شك أن من أخذ بهذه الطريقة سيجد أثرها بعد حين في نفسه ملكةً تجعل الفهم من سجيته، ونورًا يستضيء به في دنياه وآخرته إن شاء الله(٢).

(١) نظرات في التربية والسلوك: ١١٩- ١٢٠. مقالات لحسن البنا جمعها عصام تليمة، والفقرة السابقة وردت في مقالة نُشرت بمجلة الشهاب الشهرية. العدد الأول ١٤ نوفمبر ١٩٤٧م.

(٢) من تراث الإمام البنا. الكتاب الثاني: التفسير: ٤٧- ٤٨. جمعة أمين عبد العزيز. دار الدعوة. الإسكندرية. الطبعة الأولىٰ. ١٤٢٦هـ. ٢٠٠٥م.

إن تدبر القرآن الكريم والتعمق في فهمه لهو من أهم طرق الوقوف علىٰ مرادات الله من خلقه، ومقاصده من كتابه، فيربط مقاطع السورة بعضها ببعض، فيحاول -كما قال الشيخ الغزالي- رسم صورة شمسية لها تتناول أولها وآخرها، وتتعرف علىٰ الروابط الخفية التي تشدها كلها، وتجعل أولها تمهيدًا لآخرها، وآخرها تصديقًا لأولها.

ثالثًا: العمل بالقرآن الكريم وتعليمه والجهاد به.

العمل دائمًا مقرون بالإيمان في القرآن الكريم، والآية القرآنية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.... تكررت في عشرات المواضع في القرآن الكريم، فلا فائدة من إيمان لا يتبعه عمل، ولا أثر لعمل لا ينطلق من إيمان.

والمؤمن العامل المجاهد تتبدىٰ له مساحات ورؤىٰ وأفكار لا تتبدىٰ لغيره من القابعين بين الكتب والأوراق فقط، والجالسين في أبراج عاجية.

ومن هنا قال الأستاذ سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (حقيقة الإيمان لا يتم تمامها في قلب حتىٰ يتعرض لمجاهدة الناس في أمر هذا الإيمان؛ لأنه يجاهد نفسه كذلك في أثناء مجاهدته للناس؛ وتتفتح له في الإيمان آفاق لم تكن لتتفتح له أبدًا وهو قاعد آمن ساكن، وتتبين له حقائق في الناس وفي الحياة لم تكن لتتبين له أبدًا بغير هذه الوسيلة، ويبلغ هو بنفسه وبمشاعره وتصوراته وبعاداته وطباعه وانفعالاته واستجاباته، ما لم يكن ليبلغه أبدًا بدون هذه التجربة الشاقة العسيرة)(١).

عن جندب بن عبد الله قال: (كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزورة فتعلمنا

(١) هذا الدين: ١٢. سيد قطب. دار الشروق. القاهرة. الطبعة السابعة عشرة. ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيمانا)(١).

وعن ابن عمر قال: (لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدثنا يؤتىٰ الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة علىٰ محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها وما ينبغي أن يوقف عنده فيها كما تعلمون أنتم القرآن، ثم قال لقد رأيت رجالا يؤتىٰ أحدهم القرآن فيقرأ ما بين فاتحته إلىٰ خاتمته ما يدري ما أمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه ينثره نثر الدقل)(٢).

قال الإمام ابن تيمية: (هؤلاء هم الذين تلقوا عنه القرآن والسنة وكانوا يتلقون عنه ما في ذلك من العلم والعمل، كما قال أبو عبد الرحمن السلمي: لقد حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وغيرهما: أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتىٰ يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا.

وقد قام عبد الله بن عمر -وهو من أصاغر الصحابة- في تعلم البقرة ثماني سنين، وإنما ذلك لأجل الفهم والمعرفة)(٣).

وقد وجه الله نبيه ﷺ إلىٰ الجهاد بالقرآن، فقال له: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ

(١) ابن ماجه في سننه: ١/ ٢٤ حديث رقم: (٦١)، وحزورة جمعها: الحَزَاوِرُ، وهي الرَّوابي الصِّغارُ. لسان العرب: ١٤/ ١٧٤. دار صادر. بيروت. بدون تاريخ.

(٢) رواه الحاكم في مستدركه: ١/ ٩١ حديث رقم: (١٠١). وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين ولا أعرف له علة ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي في سننه الكبرىٰ: ٣/ ١٢٠ حديث رقم: ٥٠٧٣، والدقل من التَّمر معروف قيل هو أردأُ أنواعه. لسان العرب: ١١/ ٢٤٦.

(٣) مجموع الفتاوىٰ: ٥/ ١٥٦. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني. تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار. دار الوفاء. المنصورة. الطبعة الثالثة. ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٢].

ولن يبلغ الإنسان أن يكون ربانيًا قرآنيًا إلا بالعلم والعمل والجهاد..

قال ابن القيم بعد أن تحدث عن **المراتب الأربع لجهاد النفس**: (السلفَ مُجمِعُونَ علىٰ أن العَالِمَ لا يَستحِقُّ أن يُسمىٰ ربَّانياً حتىٰ يعرِفَ الحقَّ، ويعملَ به، ويُعَلِّمَه، فمَن علم وَعَمِلَ وعَلَّمَ فذاكَ يُدعىٰ عظيماً في ملكوتِ السموات)[1].

فالقرآن الكريم لن تتفتح أسراره ولا آفاقه ولا معانيه ولا مقاصده وغاياته إلا لمن أخذه جدًا، وتمثله حقًا، وعمل به أبدًا، واستنزل هداياته وتعاليمه في واقعه العملي؛ نورًا في القلب، وانشراحًا في الصدر، ووضوحًا في الرؤية، وسعيًا لعمل الخير ونفع الغير وخير العمل.

رابعًا: الانطلاق من احتياجات الأمة في ظل المقاصد العامة للقرآن:

العمل الحي، والفكر الحي، والاجتهاد الحي، دائمًا ينطلق من حاجات الأمة، ولا يكون بمعزل عنها، هكذا كانت آراء الأئمة وفتاواهم واجتهاداتهم علىٰ مر التاريخ، فتاريخ علمائنا وأئمتنا حفظ لنا اجتهادات وفتاوىٰ الأئمة الكبار والإمام العز ابن عبد السلام، والإمام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم، والإمام الطاهر ابن عاشور، والشيخ الدردير، والشيخ الخراشي، والشيخ الخضر حسين، وإخوان هذا الطراز.

إن الفقه الإسلامي والاجتهاد الإسلامي والتعامل مع القرآن لن تكتب له الحياة والفاعلية ما لم يكن معبراً عن هموم الأمة، ومنطلقًا من واقع الأمة، وحادبًا علىٰ عقيدتها وشريعتها وحضارتها، ومستشرفًا مستقبلها.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد: ٣/ ١٠. مؤسسة الرسالة. بيروت. مكتبة المنار الإسلامية. الكويت. الطبعة السابعة والعشرون. ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

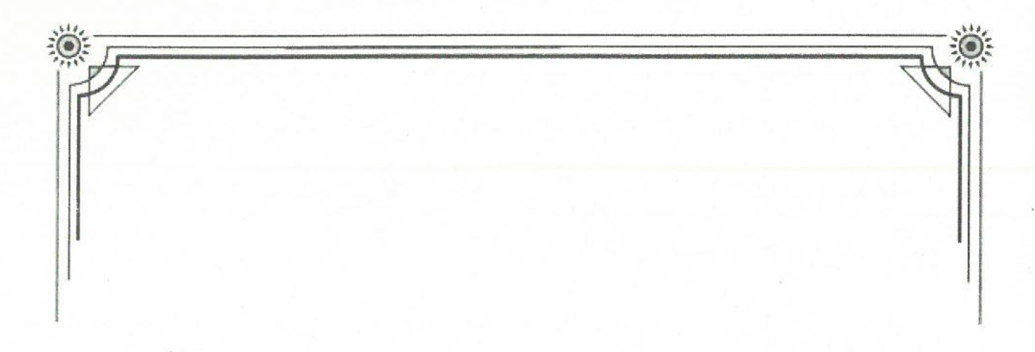
ومن هنا كان الاهتمام بواقع الأمة وقضاياها والعناية بمتطلباتها في أي مرحلة تعيشها من مقومات المفسر المقاصدي والفقيه المقاصدي والمجتهد المقاصدي، فإن العالم أيا كان تخصصه إذا انعزل عن واقع الناس وقضايا أمته واكتفىٰ بالعيش بين الكتب والأوراق، لم يكن لكلامه نور، ولا علىٰ ما يكتب نور..

والذاكرة لا تستوعب من تاريخنا العلمائي إلا من عاشوا مع هموم أمتهم وأنهضوها من كبواتها، وأعادوا لها الحياة بماء القرآن الكريم، ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

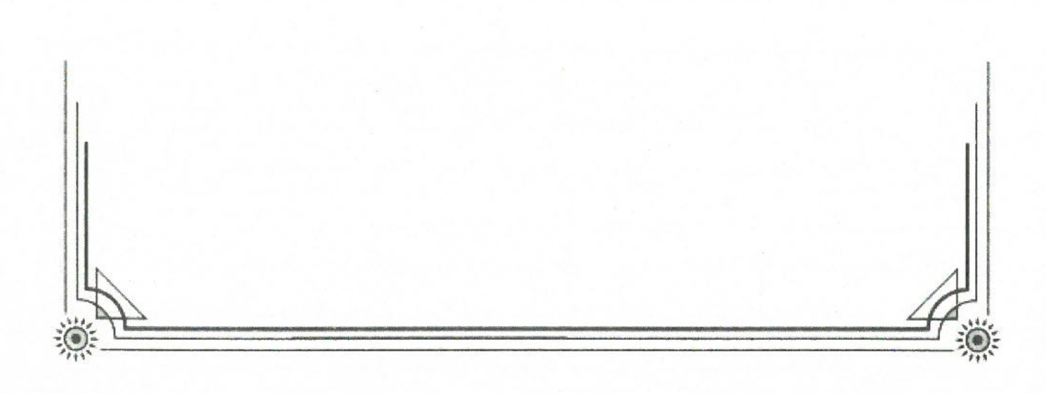
والمفسر المقاصدي عليه أن يستلهم روح القرآن وغاياته في علاجه لقضايا أمته، وفي نظرته للأمور وتقييمه لها، وتقويمه لاعوجاجها، فإن مقاصد القرآن هي خلاصة رسالة القرآن التي لا يصح أن تغيب عن مصلح أو داعية مجدد وهو يجدد لهذا الدين روحه، ويعيد إلىٰ أمته الحياة.

كما أن واقع الأمة يجب أن ينضبط بمقاصد القرآن وغايات القرآن: الفردية والجماعية، الدنيوية والأخروية، السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية، العامة والخاصة.. ولا ينفلت عنه، فإن من مقاصد القرآن ومن مقاصد الشريعة أن تندرج تحتها كل نازلة، ولا نفلت عنها مستجد من المستجدات.

أما العالم الذي لا علاقة له بواقع أمته، ولا اهتمام له بقضاياها، فإنه لا يصلح للنظر المقاصدي ولا الاجتهاد المقاصدي، وإنما يعيش كالجثة الهامدة التي لا روح فيها، ولا حياة بها؛ لأنه فَقَدَ حياة الروح، وروح الحياة.



المبحث الخامس
ضوابط التفسير المقاصدي للقرآن الكريم



المبحث الخامس: ضوابط التفسير المقاصدي للقرآن الكريم:

من بدائه العمل التأسيسي لكل فن أو قضية أن توضع له الضوابط حتىٰ لا ينحرف يمنة أو يسرة، ولا يذهب مذهب المفَرطين أو المفْرطين، فإن كلا طرفي الأمور ذميم، ولا يُبعدنا عن طرفَي الأمور ويقيمنا علىٰ سبيل الاعتدال والاستقامة إلا الانضباط بضوابط العمل والعلم جميعا.

ولا نعني بالضابط هنا معناه الاصطلاحي الذي فرَّق الأصوليون بينه وبين القاعدة بأن القاعدة تجمع فروعًا من أبواب شتىٰ، والضابط يجمعها من باب واحد[١].

وإنما نعني به الأسس والمقومات التي يجب مراعاتها بما ينضبط به التفسير المقاصدي للقرآن، ويجعل اعتباره مشروعًا، وما يمكِّنه من القيام بوظائفه التفسيرية؛ بحيث يكون العمل به بعيدًا عن هذه الضوابط نوعًا من الافتئات علىٰ القرآن، أو نوعًا من الجناية علىٰ علوم القرآن بالتبعية؛ إذ الحديث عن ضوابط اعتبار التفسير المقاصدي لا يقل أهمية عن الحديث عن التفسير المقاصدي نفسه.

كما أنه من شأن التحقق بالضواب تحقيق المقاصد، فالعلماء يضعون الشروط والضوابط للأفعال والتصرفات كي يحقق التصرف مطلوبه ويصل إلىٰ مقصوده.

والتفسير المقاصدي ليس بدعًا في ذلك، فهو -باعتباره فنًّا يستحق الاهتمام وبذل مزيد من الجهد- يحتاج إلىٰ ضوابط حتىٰ ينضبط بها ويتأسس عليها، ويحقق من خلالها مقصوده ويقوم بوظيفته، ومن أهم الضوابط التي نراها للتفسير

---

(١) الأشباه والنظائر علىٰ مذهب أبي حنيفة النعمان لزين الدين إبراهيم بن نجيم: ٢/ ٥. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولىٰ. ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م، وقواعد الفقه لمحمد عميم الإحسان البركتي: ٣٥٧. دار الصدف ببلشرز. كراتشي. الطبعة الأولىٰ. ١٤٠٧هـ. ١٩٨٦م.

المقاصدي للقرآن الكريم ما يأتي:

أولًا: أن يكون المقصد مستكشفا من طرقه ومسالكه:

من ضوابط التفسير المقاصدي أن يكون المقصد القرآني مستكشفًا من مسالكه التي قررناها سلفا، وهي النص القرآني، والاستقراء، والاستنباط، وتجارب علماء القرآن على مر العصور.

ولكل نوع من أنواع مقاصد القرآن طرق خاصة به، قد يلتقي فيها مع أنواع أخرى، لكن يبقى للمقاصد القرآنية العامة مسالكها، ويبقى للموضوعات والمجالات مسالكها، ويبقى للسور مسالكها، وتبقى للآيات مسالكها، وإن اشتركت الأنواع في بعض المسالك، أو اشترك نوعان أو ثلاثة في بعض المسالك، فمسلك النص القرآني على المقصد مشترك بين المقاصد العامة والخاصة، والاستقراء مشترك بين المقاصد العامة والخاصة والسورة، والاستنباط مشترك بين أغلب أنواع المقاصد، وهكذا..

وقد بينا ذلك في مبحث مسالك الكشف عن مقاصد القرآن الكريم.

ولا بد أن يكون المقصد القرآني مستثمرًا من مسالكه وطرقه التي قررناها سلفًا، وإلا لا يكون له علاقة بمقاصد القرآن، فاستقاء المقاصد القرآنية من مسالكها أحد ضوابط العمل المقاصدي في التفسير، وبغير رعاية ذلك وضبط التفسير المقاصدي بهذا الضابط ستقع اضطرابات كثيرة.

من ذلك: **الاضطراب في التفسير نفسه**، وهذا ما وقع فيه بعض المفسرين حين غفل عن مقصد السورة التي يفسرها فتطرق لمناقشة موضوعات لا علاقة لها بالسورة.. كما سيأتي في مبحث فوائد التفسير المقاصدي.

ومن هذه الأضرار أيضًا أن الاضطراب والخلل الذي سيقع في التفسير

سينعكس سلبًا على علوم القرآن الكريم، وفي هذا خطر كبير على القرآن نفسه، وعلومه بالتبعية.

وسيكون له انعكاس كذلك على العمل الفقهي بما يحتويه القرآن من آيات أحكام؛ ولهذا يجب أن ينضبط التفسير المقاصدي بهذا الضابط، ولا يعول على مقاصد قرآنية إلا تلك التي جاءت من طرقها واستُثمرت من مسالكها.

ثانيًا: أن يتم التحقق بمقومات المفسر المقاصدي:

ومن الضوابط المهمة للتفسير المقاصدي أن يتحقق المفسر المقاصدي بالمقومات التي يجب أن تتوفر فيه، وهي كما ذكرناها في مبحث المقومات: فهم اللغة العربية وآدابها واستعمالاتها، وتدبر القرآن الكريم وإرادة العيش به، والعمل بالقرآن الكريم وتعليمه والجهاد به، والانطلاق من احتياجات الأمة في ظل المقاصد العامة للقرآن.

ولا نزيد تفصيل المقومات هنا؛ حيث سبق الحديث عنها وبيان أهميتها للمفسر المقاصدي والتفسير المقاصدي والنظر المقاصدي في القرآن الكريم، وإنما فقط نؤكد على أن التفسير المقاصدي لا يمكن أن يكون فاعلًا ومؤثرًا ومنضبطًا إلا إذا تحقق بمقوماته.

ولنا أن نتخيل تفسيرًا أو مفسرًا ليس ماهرًا بالعربية ومتضلعًا منها، وليس عنده علم واسع بمعرفة استعمالات العرب للألفاظ والأساليب في المواقف المختلفة والمعاني المختلفة.. كيف سيتعامل مع القرآن وهو لا يعرف معهود العرب في كلامهم، ولا يقف على معاني الألفاظ والأساليب في عصر الاحتجاج أو في عصر الرسالة الذي نزل فيه القرآن الكريم؟ لا شك أنه سيَضل ويُضل ولن يستطيع التعامل مع القرآن الكريم تعاملًا راشدًا.

وقل مثل ذلك في بقية المقومات، فهي أشبه بمقومات البناء أو مقومات الإنسان، أو مقومات المؤسسات والهيئات، فهي لوازم لا يمكن أن يقوم الشيء إلا بها، ولعل معنىٰ كلمة **(مقوم)**: تدل علىٰ ذلك بوضوح، وهو ما به قيام الشيء وقوامه واستقامته، والرجل قوام علىٰ امرأته أي: متكفل بها راعٍ لشئونها، ومنه: (اسم الله: **القيوم**) أي: القائم بأمر خلقه في إنشائهم ورزقهم وعلمه بمستقرهم ومستودعهم.

(وذلك الدين القيم): أي: المستقيم الذي لا زيغ فيه ولا ميل عن الحق.

وقوله تعالىٰ: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾؛ أي: مستقيمة تبين الحق من الباطل علىٰ استواء وبرهان؛ عن الزجاج.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾؛ أي: دين الأمة القيمة بالحق، ويجوز أن يكن دين الملة المستقيمة؛ قال الجوهري: إنما أنثه لأنه أراد الملة الحنيفية.

(والقيم): السيد وسائس الأمر.

(وقيم القوم): الذي يقومهم ويسوس أمرهم[1].

وقال المناوي -وهو يتحدث عن الفصل عند المنطقيين-: **(الفصل المقوم**: عبارة عن جزء داخل في الماهية كالناطق مثلًا، فإنه داخل في ماهية الإنسان مقوم لها؛ إذ لا وجود للإنسان في الخارج والذهن بدونه)[2].

إذن فكلمة **(المقوم)** تعبر عن استقامة الشيء وما به مصلحته وقوامه وقيامه

(١) راجع مثلًا لسان العرب: ١٢/ ٥٠٢، وما بعدها. لأبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي. دار صادر. بيروت. الطبعة الثالثة. ١٤١٤هـ.

(٢) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف: ٢٦٠. زين الدين عبد الرؤوف المناوي. عالم الكتب. القاهرة. الطبعة الأولىٰ. ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

وماهيته، بل بقاؤه ووجوده، وهو يشير إلىٰ أهمية وجود المقومات للمفسر المقاصدي والنظر المقاصدي في القرآن الكريم، وبغيره فلن نكون أمام حالة تفسير مقاصدي، وإنما أمام حالة أخرىٰ لا علاقة لها بما نتحدث عنه.

ثالثًا: تقديم المقاصد القرآنية النصية والأصلية علىٰ غيرها:

من الضوابط المهمة للتفسير المقاصدي أن تتقدم المقاصد الأصلية والنصية علىٰ غيرها، وذلك عند التعارض **(الظاهري)**، ونقول الظاهري لأنه لا يتصور أن يكون هناك تعارض بين مقاصد القرآن بكل مراتبها وأنواعها حال استُثمرتْ من مسالكها المقررة سلفًا، وفي حال استثمارها من غير طرقها يحدث التعارض الحقيقي؛ إذ إن المصدر الواحد لا يخرج منه ما يتعارض بعضه مع بعض، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ [النساء: ٨٢].

وقد تحدث علماء القرآن عن مقاصده الأصلية والأساسية، ومن هؤلاء العلامة محمد الطاهر ابن عاشور، قال: (إن القرآن أنزله الله تعالىٰ كتابًا لصلاح أمر الناس كافة رحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم قال الله تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝٨٩﴾ [النحل: ٨٩]، فكان المقصد الأعلىٰ منه صلاح الأحوال الفردية، والجماعية، والعمرانية)[1].

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (أليس قد وجب علىٰ الآخذ في هذا الفن أن يعلم المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها؟ فلنلم بها الآن بحسب ما بلغ إليه استقراؤنا وهي **ثمانية أمور**:

الأول: إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح، وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق، لأنه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل، ويطهر القلب

(١) التحرير والتنوير: ١/ ٣٦.

من الأوهام الناشئة عن الإشراك والدهرية وما بينهما، وقد أشار إلىٰ هذا المعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ [هود: ١٠١]، فأسند لآلهتهم زيادة تتبيبهم، وليس هو من فعل الآلهة ولكنه من آثار الاعتقاد بالآلهة.

الثاني: تهذيب الأخلاق، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤]، وفسرت عائشة رضي الله تعالىٰ عنها لما سئلت عن خلقه ﷺ فقالت كان خلقه القرآن... وهذا المقصد قد فهمه عامة العرب بله خاصة الصحابة...

الثالث: التشريع وهو الأحكام خاصة وعامة، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: ١٠٥]، ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [المائدة: ٤٨]، ولقد جمع القرآن جميع الأحكام جمعا كليا في الغالب، وجزئيا في المهم...

الرابع: سياسة الأمة، وهو باب عظيم في القرآن القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها كالإرشاد إلىٰ تكوين الجامعة بقوله: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

الخامس: القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم، قال: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣]، ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وللتحذير من مساويهم قال: ﴿ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ ﴾ [ابراهيم: ٤٥]،

وفي خلالها تعليم، وكنا أشرنا إليها في المقدمة الثانية.

السادس: التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهلهم إلىٰ تلقي الشريعة ونشرها، وذلك علم الشرائع وعلم الأخبار، وكان ذلك مبلغ علم مخالطي العرب من أهل الكتاب.

وقد زاد القرآن علىٰ ذلك تعليم حكمة ميزان العقول وصحة الاستدلال في أفانين مجادلاته للضالين وفي دعوته إلىٰ النظر، ثم نوه بشأن الحكمة فقال: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وهذا أوسع باب انبجست منه عيون المعارف، وانفتحت به عيون الأميين إلىٰ العلم، وقد لحق به التنبيه المتكرر علىٰ فائدة العلم، وذلك شيء لم يطرق أسماع العرب من قبل...

السابع: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، وهذا يجمع جميع آيات الوعد والوعيد، وكذلك المحاجة والمجادلة للمعاندين، وهذا باب الترغيب والترهيب.

الثامن: الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة علىٰ صدق الرسول؛ إذ التصديق يتوقف علىٰ دلالة المعجزة بعد التحدي، والقرآن جمع كونه معجزة بلفظه ومتحدي لأجله بمعناه والتحدي وقع فيه: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ [يونس: ٣٨]، ولمعرفة أسباب النزول مدخل في ظهور مقتضىٰ الحال ووضوحه.

هذا ما بلغ إليه استقرائي.. وللغزالي في **(إحياء علوم الدين)** بعض من ذلك.

فغرض المفسر: بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالىٰ في كتابه بأتم بيان يحتمله المعنىٰ ولا يأباه اللفظ من كل ما يوضح المراد من مقاصد القرآن، أو ما يتوقف عليه فهمه أكمل فهم، أو يخدم المقصد تفصيلًا وتفريعًا كما أشرنا إليه في المقدمة الأولىٰ، مع إقامة الحجة علىٰ ذلك إن كان به خفاء، أو لتوقع

مكابرة من معاند أو جاهل، فلا جرم كان رائد المفسر في ذلك أن يعرف علىٰ الإجمال مقاصد القرآن مما جاء لأجله)(١).

هذه مقاصد ثمانية أصلية في القرآن الكريم ودلل عليها من القرآن بما ينص عليها، ثم أضاف مقصدين آخرين في موضع آخر من (**التحرير والتنوير**)؛ لتكون مقاصد القرآن العامة والأصلية عنده عشرة كاملة، فقال: (علىٰ أن من مقاصد القرآن أمرين آخرين:

أحدهما: كونه شريعة دائمة، وذلك يقتضي فتح أبواب عباراته لمختلف استنباط المستنبطين، حتىٰ تؤخذ منه أحكام الأولين والآخرين.

وثانيهما: تعويد حملة هذه الشريعة، وعلماء هذه الأمة، بالتنقيب، والبحث، واستخراج المقاصد من عويصات الأدلة، حتىٰ تكون طبقات علماء الأمة صالحة في كل زمان لفهم تشريع الشارع ومقصده من التشريع، فيكونوا قادرين علىٰ استنباط الأحكام التشريعية، ولو صيغ لهم التشريع في أسلوب سهل التناول لاعتادوا العكوف علىٰ ما بين أنظارهم في المطالعة الواحدة)(٢).

وفي مقام تفسيره لسورة الفاتحة قال: (إنها تشتمل محتوياتها علىٰ أنواع مقاصد القرآن، وهي **ثلاثة أنواع**: الثناء علىٰ الله ثناءً جامعًا لوصفه بجميع المحامد، وتنزيهه عن جميع النقائص ولإثبات تفرده بالإلهية، وإثبات البعث والجزاء، وذلك من قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، والأوامر والنواهي من قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، والوعد والوعيد من قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ﴾ إلىٰ آخرها، فهذه هي أنواع مقاصد القرآن كله، وغيرها تكملات لها؛ **لأن**

(١) التحرير والتنوير: ١/ ٣٧-٣٩. باختصار.
(٢) التحرير والتنوير: ٣/ ١٥٨.

القصد من القرآن إبلاغ مقاصده الأصلية، وهي صلاح الدارين وذلك يحصل بالأوامر والنواهي.

ولما توقفت الأوامر والنواهي علىٰ معرفة الآمر وأنه الله الواجب وجوده خالق الخلق لزم تحقيق معنىٰ الصفات.

ولما توقف تمام الامتثال علىٰ الرجاء في الثواب والخوف من العقاب لزم تحقق الوعد والوعيد، والفاتحة مشتملة علىٰ هاته الأنواع)(١).

فهذه المقاصد الأصلية والنصية هي التي يجب أن يضبط بها المفسر المقاصدي تفسيره، ويعول عليه في النظر، وعند الترجيح ومنح الأولوية، وعند التزاحم والتعارض الظاهر، وإعطاء الأولوية والاهتمام في النظر والاهتمام للمقاصد الأصلية علىٰ غيرها مع عدم إهمال غيرها؛ فهذا الضابط يضبط للمفسر المقاصدي استقامة نظره المقاصدي في القرآن الكريم، ويقيم القرآن الكريم وحدة متماسكة واحدة متسقة مترابطة، لا تعارض فيها ولا اختلاف بينها.

رابعًا: أن تكون المقاصد العامة للقرآن حاكمة علىٰ ما دونها من المقاصد:

من الضوابط المهمة كذلك في التفسير المقاصدي والتي يجب أن يعتبرها المفسر المقاصدي ويحكم بها عمله أن يجعل المقاصد العامة للقرآن الكريم حاكمة علىٰ ما دونها من أنواع المقاصد، سواء أكانت مقاصد خاصة أو مقاصد سور أو مقاصد آيات أو مقاصد كلمات وحروف.

(١) التحرير والتنوير: ١/ ١٣٣، وهناك علماء آخرون تحدثوا عن مقاصد القرآن أو موضوعات القرآن، منهم: أبو حامد الغزالي، والعز ابن عبد السلام، والبقاعي، ورشيد رضا، ومحمد الغزالي، وشيخنا يوسف القرضاوي، وغيرهم، وكلهم متقاربون في إثبات المقاصد الأصلية للقرآن الكريم.

فابتداء من رتبة مقاصد الحروف والشكل القرآني والتنقيط القرآني، ثم مقاصد الآيات، ثم مقاصد السور، ثم مقاصد المجالات والموضوعات أو المقاصد الخاصة، لابد أن تكون كل هذه الأنواع من المقاصد محكومة ومضبوطة بالمقاصد العامة للقرآن الكريم، وهي مقاصد ثابتة بيقين بالنص القرآني المباشر، فبالإضافة إلىٰ أنها مقاصد عامة، فهي في الوقت ذاته مقاصد أصلية ومقاصد نصية، وما له هذه الصفات يجب أن يكون حاكمًا وضابطًا علىٰ ما دونه من مراتب المقاصد وأنواعها.

ومن ثم فإنه لا يُتصور أن نستقرئ أو نستنبط مقاصد خاصة أو للموضوعات والمجالات ثم تكون متعارضة مع المقاصد العامة للقرآن، بل الواجب أن تكون المقاصد العامة حاكمة علىٰ مقاصد المجالات والموضوعات، ولا يتصور أصلًا أن يحدث تعارض بين المقاصد العامة والمقاصد الخاصة (مقاصد المجالات أو الموضوعات)؛ لأن الأخيرة ستقودنا في النهاية إلىٰ تكوين الأولىٰ وإقامتها؛ فضلًا عن أن الأولىٰ منصوص عليها من القرآن الكريم نفسه.

وكذلك مقاصد الآيات يجب أن تكون محكومة بمقاصد السورة التي ستُكوّن في النهاية مقاصد القرآن العامة، فلا توجد آية في سورة من السور إلا وهي تحقق مقصد السورة العام، وتصب في إبرازه وتكوينه، وهذا نوع من الإعجاز جديد يجب الكشف عنه وإبرازه؛ إذ إن ترتيب الآيات داخل السور ترتيب إلهي جاء بوساطة الوحي وليس عملًا توفيقيًا.

ونفس مقاصد الكلمات والشكل والتنقيط لابد أن تكون متسقة ومحكومة بمقاصد الآيات ومكونة لها، تلك التي تُحكم بدورها بمقاصد السورة، التي تصب في تحقيق وتكوين مقاصد القرآن الكريم العامة.

خامسًا: أن يتحقق الاتساق بين الكلمات والآيات والسور والقرآن كله:

يعتبر هذا الضابط ضابطًا مهمًا، وهو حصيلة وثمرة -في الوقت نفسه- للضوابط السابقة جميعًا، فإذا استثمر المقصد من مسلكه المقرر، وتحقق المفسر المقاصدي بمقومات هذ التفسير، وكانت المقاصد الأصلية والنصية هي المقدمة، والمقاصد العامة هي الحاكمة علىٰ غيرها من المقاصد فإن الاتساق بين الكلمات والسور والقرآن كله ومقاصد هذه الأنواع يتحقق تلقائيًا.

وإذا كان القرآن الكريم في مجموعة كالقطعة الواحدة والجملة الواحدة تماسكًا وتناسقًا وترابطًا فإنه يجب علىٰ المفسر أن ينحو هذا النحو، وأن يتظلل بهذا الظل، وأن يسير وفق هذا النسق، فيبرز في تفسيره تناسق القرآن وتماسكه.

قال الإمام الزركشي وهي يتحدث عن فائدة العلم بمناسبة الآيات والسور: (وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض فيقوىٰ بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء.

وقد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته..

وممن أكثر منه: الإمام فخر الدين الرازي، وقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط.

وقال بعض الأئمة: من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض لئلا يكون منقطعًا، وهذا النوع يهمله بعض المفسرين أو كثير منهم وفوائده غزيرة.

قال القاضي أبو بكر بن العربي في (**سراج المريدين**): ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتىٰ تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله عَزَّوَجَلَّ لنا فيه،

فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه)[١].

ويقول ابن حزم الأندلسي عن مصدر الشريعة: (إنه كلفظ واحد وخبر واحد موصول بعضه ببعض، ومضاف بعضه إلىٰ بعض، ومبني بعضه علىٰ بعض)[٢].

وللإمام الشاطبي إطلاق إشارات مشرقة إلىٰ بنائية القرآن المجيد ووجوب رد بعضه إلىٰ بعض، ومن ذلك قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فصل ملحق بالمسألة الثالثة عشرة من الأدلة علىٰ التفصيل:

(وهل للقرآن مآخذ في النظر علىٰ أن جميع صوره كلام واحد بحسب خطاب العباد لا بحسب نفسه؟!

فإن كلام الله في نفسه كلام واحد لا تعدد فيه بوجه ولا باعتبار... وذلك أنه يبين بعضه بعضًا، حتىٰ إن كثيرًا منه لا يفهم معناه حق الفهم إلا بتفسير موضع آخر أو صورة أخرىٰ، ولأن كل منصوص عليه فيه من أنواع الضروريات مثلًا مقيد بالحاجيات، فإذا كان كذلك فبعضه متوقفًا علىٰ بعض في الفهم، فلا محالة أن

---

(١) البرهان في علوم القرآن: ٣٥. بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية لعيسىٰ البابىٰ الحلبي وشركائه. الطبعة الأولىٰ. ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

ولا أدري من هو هذا العالم الواحد الذي ذكره ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم كان بوسع ابن العربي أن يقدم ما فتح الله به عليه دون قدح في الخلق ووصفهم بالبطلة ثم يذهب مذهب المزكي لنفسه علىٰ هذا النحو، وهو لم يقم باستقراء كامل لما يكتبه الخلق، وهذا ليس في مكنة أحد من الخلق؛ فكم في الزوايا خبايا، وكم في الناس بقايا، وفوق كل ذي علم عليم.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام ابن حزم ٢/ ٣٥ و ٨/ ٥١٨ تحقيق أحمد محمد شافع دار الآفاق الجديدة بيروت ط:٢ ١٩٨٣.

ما هو كذلك، فكلام واحد، فالقرآن كله كلام واحد بهذا الاعتبار)[١].

ويقول د. عادل بن محمد أبو العلاء بعدما أورد عن الغماري في كتابه (**جواهر البيان**) تناسق سور: المائدة، والأنعام، والأعراف، قال: (وَلَا ريب أَن إِعَادَة النّظر فِي الْقِرَاءَة المتأنية لَهَا -ولسائر سور الْقُرْآن الْمجِيد- تفتح علىٰ المتأمل أبوابًا لَا حصر لَهَا وَلَا نِهَايَة من التناسب والترابط المحكَم، الَّذِي يُظْهر وَحْدة الْقُرْآن الْكَرِيم الْكُلية، بِاعْتِبَارِهِ الكلمةَ الإلهيةَ الأخيرةَ للثقلين، إِلَىٰ قيام السَّاعَة)[٢].

وكما يكون التماسك والتناسق والوحدة في القرآن كله، فإن السور لا تخرج علىٰ هذا القانون، وهو أمر منطقي ألا يخرج قانون الأصغر علىٰ قانون الأكبر؛ ولهذا قال العلامة محمد عبد الله دراز: (إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثًا من المعاني حشيت حشوًا، وأوزاعًا من المباني جمعت

---

(١) الموافقات: ٤/ ٢٧٤-٢٧٥. إبراهيم بن موسىٰ الشهير بالشاطبي. تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. دار ابن عفان. الطبعة الأولىٰ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٢) مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور: ١٣٤. بحث للدكتور عادل بن محمد أبو العلاء. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. العدد: ١٢٩- السنة ٣٧ - ١٤٢٥هـ، قال في مقدمته: (إِن الْقُرْآن الْكَرِيم بلغ من ترابط أَجْزَائِهِ، وتماسك كَلِمَاته وجمله وآياته وسوره مبلغا فريدًا، لَا يدانيه فِيهِ أَي كَلَام آخر، فألفاظ الْقُرْآن وآياته وسوره متعانقة متماسكة، آخذ بعضُها بأعناق بعض، فتراها سَلِسَةً رقيقَة عذبةً متجانسة، أَو فخمةً جزلةً متآلفة، وعَلىٰ الرغم من أَنه كَثْرَة متنوعة، إِلَّا أَن كَلِمَاته متآخية متجاوبة.. جرسًا وإيقاعًا ونغمًا، وَهَذَا كُله مِمَّا جعله كتابًا سويًا، يَأْخُذ بالأبصار، ويستحوذ علىٰ الْعُقُول والأفكار: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزمر:٢٨].. يعرف هَذَا الإحكام والترابط فِي الْقُرْآن كل من تمعن فِي التناسب الْوَاضِح فِيهِ، فَلَا تفكُّك وَلَا تخاذل ولاانحلال وَلَا تنافر. بَيْنَمَا الموضوعات مُخْتَلفَة متنوعة. فَمن تشريع، إِلَىٰ عقائد إِلَىٰ قصَص، إِلَىٰ جدل، إِلَىٰ وصف ... إِلَخ. وَهَذَا التناسب هُوَ سر من الْأَسْرَار الدقيقة الَّتِي تتجلىٰ بهَا عَظمَة الْقُرْآن الْكَرِيم وإعجازه).

عفوًا؛ فإذا هي -لو تدبرت- بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية علىٰ أسس وأصول، وأقيم علىٰ كل أصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول؛ فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة، لا تحس بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلىٰ طريق، بل ترىٰ بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترىٰ بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضامّ والالتحاق. كل ذلك بغير تكلفة ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، وإنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه، يريك المنفصل متصلًا، والمختلف مؤتلفًا)[١].

ولا ينتهض لبيان ذلك أداةٌ ووسيلة إلا المقاصد وفكرتها عمومًا، ومقاصد القرآن الكريم خصوصًا؛ فإن المقاصد القرآنية هي الأفق الوسيع والنظر الفسيح الذي يسْبح تحته المفسر باطمئنان، ويحقق من خلاله هذه الوحدة الموضوعية.

ولهذا يقول د. محمد بن عمر بازمول مبينًا أهم جهات العلاقة بين النظر في المقاصد الكلية للقرآن الكريم، وتحقيق التناسق الموضوعي للسورة خاصة والقرآن عامة مبينًا أن المقاصد الكلية للقرآن طريق نظام القرآن الكريم، وهو الطريق إلىٰ نظام السورة، يقول: (الوقوف علىٰ المقاصد الكلية للقرآن الكريم يتعلق بدراسة التناسق الموضوعي للسورة أو للقرآن العظيم عمومًا، من جهات متعددة، وهي التالي:

- فيه إبراز لتناسق القرآن الكريم سورة سورة، وإبراز لتناسق جميع سوره

(١) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم: ١٨٨. للعلامة محمد بن عبد الله دراز. اعتنىٰ به: أحمد مصطفىٰ فضلية. قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني. دار القلم للنشر والتوزيع. طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

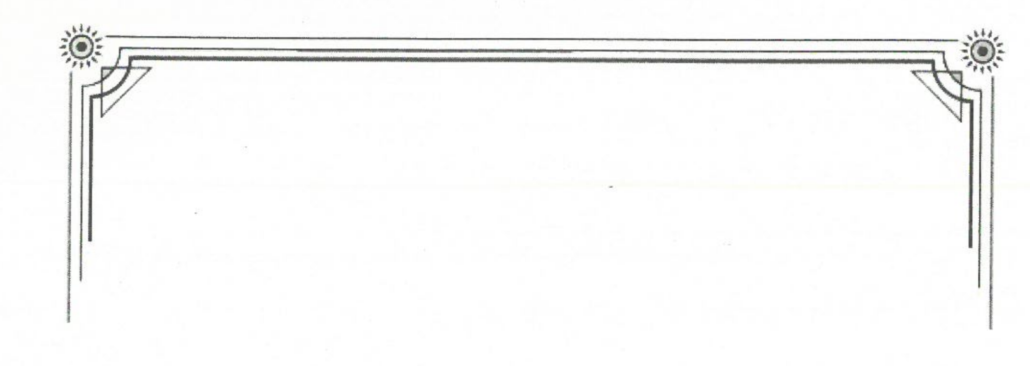
مع مقاصده الكلية، حيث يبرز النظام الذي يربط موضوعات السورة، كما يبرز كيفية اتساق هذه الموضوعات بنظامها مع المقاصد الكلية التي يهدف إليها القرآن العظيم.

- يعتبر الأساس إلىٰ مشروعية النظر في المحور الأساس الذي تهدف إليه السورة الكريمة بموضوعاتها المتعددة؛ لأن معرفة هذا الغرض سيقود إلىٰ المقصد الكلي للقرآن الكريم، وإذا كان لجميع القرآن بتعدد سوره وآياته وموضوعاته مقاصد كلية يعود إليها، فإنه من باب أولىٰ أن يكون للسورة الواحدة ذات الموضوعات المتعددة محور وهدف وغرض تدل عليه، يرتبط مع مقاصد القرآن الكريم الكلية.

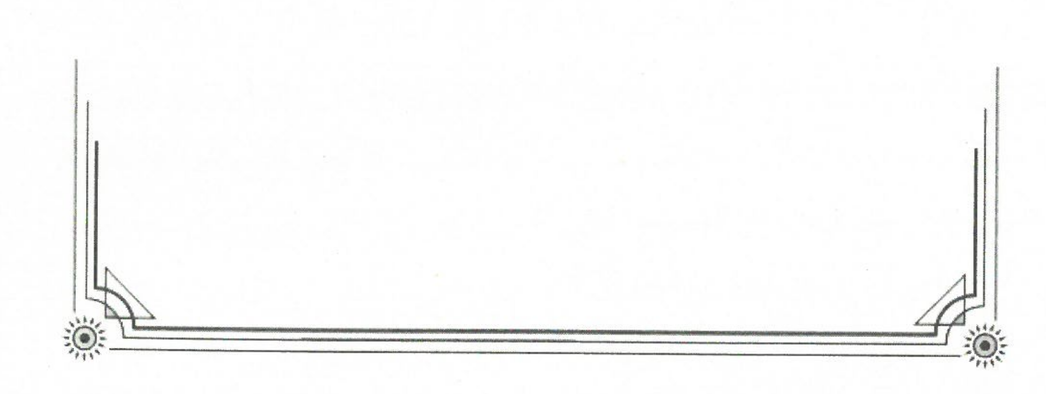
- الربط بين تناسق السورة وبين باقي سور القرآن طريقُه هو معرفة هذه المقاصد الكلية للقرآن الكريم، وبالتالي فإن المقاصد الكلية للقرآن طريق نظام القرآن الكريم، وهو الطريق إلىٰ نظام السورة)[١].

ومن هنا نقول بكل اطمئنان: إذا تمثل المفسر مقاصد القرآن العامةَ والخاصة والجزئية ومقاصد السور تحققت علىٰ يده وحدة القرآن وتناسق موضوعاته، فلا يظهر في تعامله مع القرآن نتوءات ولا شذوذات ولا تناقضات ولا اضطرابات فيبدو القرآنُ عضين، وإنما بالمقاصد القرآنية يبدو القرآن علىٰ يد المفسر وحدة واحدة وقطعة واحدة في تماسك وترابط وانسجام.

(١) التناسق الموضوعي في السورة القرآنية: ٣٣-٣٤. إعداد محمد بن عمر بن سالم بازمول. د.ت. د.ت.



المبحث السادس
فوائد التفسير المقاصدي للقرآن الكريم



المبحث السادس: فوائد التفسير المقاصدي للقرآن الكريم:

لكل أمر غاية، ولكل حكم مقصد وفائدة، وهذا منهج يجب أن يكون منطلقًا لكل إنسان في الحياة؛ فضلًا عن المسلم، فضلًا عن حال المسلم مع كتاب الله تعالىٰ..

وإذا كان هذا هو ما ينبغي أن تكون عليه حال المسلم، فمن باب أولىٰ أن يكون هذا حال العالم والمشتغل بكتاب الله تعالىٰ.

وإذا كان للنظر المقاصدي والفهم المقاصدي للإسلام مقوماتٌ ينبغي توافرُها فيمن يتعرض للقرآن مقاصديًا، فما مقاصد هذا المنهج والاتجاه في التعامل مع القرآن، وما غايات إعمال التفسير المقاصدي للقرآن العظيم؟

هذا ما نحاول الإجابة عنه في السطور التالية:

أولًا: امتثالًا لأمر الله تعالىٰ ورسوله ﷺ:

إن أول مقصد محقق من التفسير المقاصدي للقرآن الكريم هو الامتثال لأمر الله تعالىٰ بالتدبر، وقد نقلنا سلفًا قوله تعالىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء]. وقوله جل شأنه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد]. ونقلنا كلام الشاطبي وغيره.

يقول صاحب الظلال في تفسير الآية الأخيرة: (وتدبر القرآن يزيل الغشاوة، ويفتح النوافذ، ويسكب النور، ويحرك المشاعر، ويستجيش القلوب، ويخلص الضمير، وينشئ حياة للروح تنبض بها وتشرق وتستنير، ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾؟ فهي تحول بينها وبين القرآن وبينها وبين النور؟ فإن استغلاق قلوبهم كاستغلاق الأقفال التي لا تسمح بالهواء والنور!)[1].

---

(١) في ظلال القرآن: ٦/ ٣٢٩٧. سيد قطب. دار الشروق. القاهرة.

ورسولنا ﷺ شيبته هود وأخواتها، وكان يبكي مع القرآن كثيرا، ويخشع له ويتدبر طويلا، وهو الذي بكىٰ حينما سمع قوله تعالىٰ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [النساء].

وفي صحيحي (البخاري ومسلم): أنّ عبد الله بن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**اقرأ علي**».

فقلت: يا رسول الله، آقرأ عليك، وعليك أنزل؟

قال: «**نعم إني أحب أن أسمعه من غيري**».

فقرأت سورة النساء حتىٰ أتيت إلىٰ هذه الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾.

فقال: «**حسبك الآن**».. فإذا عيناه تذرفان).

يقول العلامة الطاهر ابن عاشور: (لا فعل أجمع دلالة علىٰ مجموع الشعور عند هذه الحالة من بكاء رسول الله ﷺ فإنه دلالة عل شعور مجتمع فيه دلائل عظيمة: وهي المسرة بتشريف الله إياه في ذلك المشهد العظيم وتصديق المؤمنين إياه في التبليغ ورؤية الخيرات التي أنجزت لهم بواسطته والأسف علىٰ ما لحق بقية أمته من العذاب علىٰ تكذيبه ومشاهدة ندمهم علىٰ معصيته والبكاء ترجمان رحمة ومسرة وأسف وبهجة)(١).

وبكىٰ النبي ﷺ عند قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

---

(١) التحرير والتنوير: ٥/ ٥٨. الطبعة التونسية.

عن عطاء قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير علىٰ عائشة، فقالت لعبيد بن عمير: قد آن لك أن تزورنا.

فقال: أقول يا أمه كما قال الأول: زُرْ غبًّا تزدد حبا.

قال: فقالت: دعونا من رطانتكم هذه.

قال ابن عمير: أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ.

قال: فسكتت ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي، قال: «**يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي**».

قلت: والله إني لأحب قربك، وأحب ما سرك.

قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي.

قالت: فلم يزل يبكي حتىٰ بل حجره.

قالت: ثم بكىٰ فلم يزل يبكي حتىٰ بل لحيته.

قالت: ثم بكىٰ فلم يزل يبكي حتىٰ بل الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟

قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا، لقد نزلت عليَّ الليلة آيةٌ ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾** الآية كلها»)(١).

وهكذا.. فإن من هدي الله تعالىٰ، وهدي رسوله ﷺ: أن نتدبر القرآن، وفهمُ مقاصد القرآن واستيعابُها والصدورُ عنها والقراءة في ضوئها هي الباب

---

(١) رواه ابن حبان، وإسناده صحيح علىٰ شرط مسلم، وأخرجه أبو الشيخ في (أخلاق النبي) ص١٨٦ عن الفريابي، عن عثمان بن أبي شيبة، بهذا الإسناد، وله طريق أخرىٰ عن عطاء عند أبي الشيخ ص١٩٠، ١٩١. انظر: صحيح ابن حبان وهوامشه: ٢/ ٣٨٧.

الأعظم لتدبر القرآن الكريم.

ثانيًا: زيادة الإيمان واليقين بقيمة القرآن ومكانته واتباعه:

حينما يقف المسلم علىٰ مقاصد القرآن من خلال التفسير المقاصدي فإنه يزداد إيمانا بهذا القرآن، ويقف علىٰ مزيد من عظمته، ويدرك مكانته الحقيقية، ويزداد حبه ويقينه بهذا القرآن العظيم؛ فإنه كتاب عظيم حقا، ولا يخلق علىٰ كثرة الرد، ولا يشبع منه العلماء، ولا تنقضي عجائبه.

وللوقوف علىٰ عظمة القرآن وزيادة اليقين فيه وتعظيم الإيمان به بمعرفة هذه المقاصد آثارٌ عظيمة تنعكس علىٰ نفس المؤمن وروحه وسلوكه جميعا.

ومن ذلك أنه إذا وقف علىٰ مقاصد القرآن (يزداد) امتثاله وانقياده، واستمراره وإتقانه للعمل، ودفعه إليه وتنشيطه عليه، علىٰ مجرد الامتثال والانقياد والاستمرار والإتقان، وبخاصة في أمور العبادات.

ولهذا قال الآمدي: (ما يدل علىٰ العلة -يقصد من النصوص- يكون أولىٰ؛ لقربه من المقصود؛ بسبب سرعة الانقياد، وسهولة القبول)(١).

وقال ابن عاشور: (وفي الإعلام بالعلة تنشيط للمأمور بالفعل علىٰ الامتثال؛ إذ يصير عالمًا بالحكمة)(٢).

ويقول د. أحمد الريسوني: (إن معرفة مقاصد الأعمال تحرك النشاط إليها، وتدعو إلىٰ الصبر والمواظبة عليها، وتبعث علىٰ إتقانها والإحسان فيها)(٣).

ولا يعني هذا أن العبد لا يمتثل أو ينقاد لأمر الله ويقبل علىٰ تنفيذ حكمه إلا

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي: ٤/ ٢٧٤

(٢) التحرير والتنوير: ١٣/ ٢٢٤.

(٣) مدخل إلىٰ مقاصد الشريعة: ١٥-١٦.

بمعرفته للمقصد أو أسرار الأحكام، وإنما يكفي أنه أمر الله أو أمر رسوله ﷺ فهذا وحده كافٍ للامتثال والانقياد والاستمرار.

ولهذا فإننا نتحدث هنا عن (الزيادة) في هذه المعاني، وليس مجرد الإتيان بها؛ إذ المقصود أن الحكم الشرعي لا يخلو عن حكمة ومصلحة، لكن قد تعلم هذه الحكمة فيسهل الامتثال(١).

ويقول المناوي في كلام نفيس: (من فقه عن الله أمره ونهيه، وعلم لماذا أمر ونهىٰ، تعاظمَ لذلك وكبر في صدره شأنُه، وكان أشدَّ تسارعًا لما أمر، وأشد هربًا مما نهىٰ؛ **فالفقه في الدين جند عظيم يؤيد الله به أهل اليقين الذين عاينوا محاسن الأمور ومشائنها وأقدار الأشياء وحسن تدبير الله تعالىٰ في ذلك لهم بنور يقينهم ليعبدوه علىٰ بصيرة وطمأنينة**، ومن حُرم ذلك عَبَدَهُ علىٰ مكابدة وكره؛ لأن القلب وإن أطاع وانقاد لأمر الله فالنفس إنما تنقاد إذا رأت نفعَ شيء أو ضره، والنفس والشيطان جندُهما الشهوات؛ فيحتاج الإنسان إلىٰ أضدادهما من الجنود ليقهرهما، وهو الفقه)(٢).

فليس من المعقول أن يستوي العبد الذي يعرف هدف الحكم أو مقاصد القرآن مع العبد الذي لا يعرف، في سرعة الامتثال، وفي الانقياد، وكذلك الاستمرار والإتقان، وهذا لا يعد قدحًا في عبودية العبد أو عقيدته، فهناك حد أدنىٰ من الامتثال والانقياد والاستمرار والأداء لا يجوز لأحد النزول عنه سواء علم

---

(١) معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة: ٣٥٧. محمَّد بنْ حسَيْن بن حَسنْ الجيزاني. دار ابن الجوزي. الطبعة الخامسة. ١٤٢٧هـ.

(٢) فيض القدير: ٢/ ٦٤٧-٦٤٨. وهذا المعنىٰ يتردد كثيرا في (الفيض) حينما يتحدث عن الفقه في الدين والفهم عن الله، أو حينما يتعرض لشرح حديث: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ويلهمه رشده**».

مقاصد الأحكام أم لم يعلمها، وإنما يتفاوت العباد في درجات هذه المعاني ويتفاضلون بقدر معرفتهم بما نحن بصدد الحديث عنه.

ولهذا قال الأصفهاني: (وإنما غلب ثبوت الحكم بالعلة في الشرع؛ **لأن تعقل العلة في الحكم أقرب إلىٰ الانقياد والقبول من التعبد المحض**)[1].

وجعل ابن دقيق العيد ذلك باعثًا علىٰ تعظيم الأولين، قال وهو يتكلم عن مشروعية الرَّمل في الطَّواف واستحبابه مطلقًا في طواف القدوم في زمن النبي ﷺ وبعده، قال: (وإن كانت العلة التي ذكرها ابن عباس[2] قد زالت فيكون استحبابه في ذلك الوقت لتلك العلة وفيما بعد ذلك تأسيًا واقتداءً بما فعل في زمن الرسول ﷺ وفي ذلك من الحكمة: تذكر الوقائع الماضية للسلف الكرام، وفي طي تذكرها مصالح دينية؛ إذ يتبين في أثناء كثير منها ما كانوا عليه من امتثال أمر الله تعالىٰ، والمبادرة إليه، وبذل الأنفس في ذلك، وبهذه النكتة يظهر لك أنَّ كثيرًا من الأعمال التي وقعت في الحج، ويقال فيها: إنها تعبُّد ليست كما قيل. ألا ترىٰ أنا إذا فعلناها وتذكرنا أسبابها حصل لنا من ذلك تعظيم الأولين، وما كانوا عليه من احتمال المشاق في امتثال أمر الله، **فكان هذا التذكر باعثًا لنا علىٰ مثل ذلك، ومقررًا في**

(١) بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب: ٣/ ١٠٨-١٠٩. شمس الدين أبو الثناء محمود بن عبد الرحمن بن أحمد الأصفهاني. تحقيق: د. محمد مظهر بقا. معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي. مركز إحياء التراث الإسلامي. مكة المكرمة. الطبعة الأولىٰ. ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(٢) العلة المقصودة هنا والتي ذكرها ابن عباس رضي الله عنهما هي ما رواه البخاري من حديث ابن عباس قال: (قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّهُ يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ وَفْدٌ وَهَنَهُمْ حُمَّىٰ يَثْرِبَ وَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَرْمُلُوا الْأَشْوَاطَ الثَّلَاثَةَ وَأَنْ يَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ أَنْ يَرْمُلُوا الْأَشْوَاطَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِبْقَاءُ عَلَيْهِمْ). صحيح البخاري: كتاب المغازي. باب: عمرة القضاء.

أنفسنا تعظيم الأولين، وذلك أمر معقول)[1].

بل جعل العلامة المحقق ابن قيم الجوزية **معرفة الحِكَم والمقاصد والأسرار بابًا ينقل العبد من مجرد الامتثال إلىٰ المحبة والمعرفة والحمد والإجلال**، فقال: (إن للحكم في كل مسألة من مسائل العلم مناديًا ينادي للإيمان بها علمًا وعملًا؛ فيقصد إجابة داعيها ولكن مراده -أي الهروي صاحب منازل السائرين- بداعي الحكم الأسرار والحكم الداعية إلىٰ شرع الحكم، فإجابتها قدر زائد علىٰ مجرد الامتثال؛ فإنها تدعو إلىٰ المحبة والإجلال والمعرفة والحمد، فالأمر يدعو إلىٰ الامتثال، وما تضمنه من الحكم والغايات تدعو إلىٰ المعرفة والمحبة)[2].

ومن هنا لم يكن غريبًا أن تُشفع كثير من نصوص القرآن والسنة ببيان الهدف من أحكامها، سواء أكان في المأمورات بذكر الأجر والثواب المترتب علىٰ القيام بها، أم في المنهيات بذكر الإثم والعقوبات المترتبة علىٰ إتيانها، وفي ذلك ما فيه من تحفيز الناس علىٰ السرعة والزيادة في الامتثال والانقياد، والإتقان في العمل، والاستمرار بحب ورضا وحمد وإجلال، وليس مجرد الامتثال والسمع والطاعة فقط، وإلا لما كان في ذكر النصوص لذلك معنىٰ.

لقد أورد د. الريسوني عددًا من النصوص من هذا القبيل في القصاص، والتيمم، والزنىٰ، والغيبة، وإتيان النساء أثناء الحيض، وهي أمثلة معروفة مقاصدها ومنصوصة، ثم قال: (فمن شأن هذه التعليلات المرافقة للأحكام،

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام: ٣١٦. تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفىٰ: ٧٠٢هـ). تحقيق: مصطفىٰ شيخ مصطفىٰ، ومدثر سندس. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الأولىٰ. ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ١/ ١٣٢. محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، أبو عبد الله. تحقيق: محمد حامد الفقي. دار الكتاب العربي. بيروت. الطبعة الثانية. ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

المنبهة على ما تجلبه من خير ونفع، وما تدفعه من فساد وضرر، أن تكون حافزًا إضافيًا على العمل والصبر على مقتضياته ومتطلباته، ومثل القرآن الكريم كان النبي ينهج هذا النهج، ويبين علل الأحكام ومقاصدها تحبيبًا وترغيبًا في التزام التكاليف الشرعية، والمواظبة عليها، والتحمس لها)[١].

ولا تبعد معرفة مقاصد الأحكام وعللها عن معرفة المقاصد القرآنية بأنواعها، بل إن معرفة المقاصد القرآنية تحقق هذا كله من باب أولى، وتجعل المكلف أكثر حبًّا للقرآن العظيم والعمل به، وأرغب في أدائه بإتقان، وأقرب إلى الامتثال الحقيقي المرضي، فلم يشرع الله الأحكام ليعنت عباده، ولكن رحمة بهم، ومصلحة لهم، وتيسيرًا عليهم، وهذا بحد ذاته من مقاصد وضع الشريعة.

ثالثًا: حسن الفهم وتيسير الحفظ:

من مقاصد التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم فهم القرآن والموضوعات والسور واستيعابه وتيسير حفظه، فمن تأمل في القرآن منطلقًا من المقاصد، وتدبر السورة بموضوعاتها التي تصب في موضوع واحد وغاية واحدة لم يكن من الصعب عليه أن يقف أمامه معنى، أو يتأبّى عليه فهم موضوع من موضوعات القرآن أو السورة، وأسرار إيراده.. إنه سيسلك موضوعات السورة جميعًا -بلا تعسف- إلى هدفها الكبير الذي تشير إليه كل موضوعات السورة.. ومن ثم يمكنه أن يعبر عن السورة دعويًّا وإصلاحيًّا في مجتمعه وبين الناس، وهكذا القرآن كله.

وقد قرر الإمام رشيد رضا طريق حسن الفهم للقرآن الكريم فقال: (إِنَّمَا

(١) الفكر المقاصدي: ٩٣-٩٤، وراجع هذه النقول في كتابنا: مقاصد الأحكام الفقهية تاريخها ووظائفها التربوية والدعوية: ١٠٨-١١١. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت عدد (٥٦) من سلسلة روافد. الطبعة الأولى. ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م.

يَفْهَمُ الْقُرْآنَ وَيَتَفَقَّهُ فِيهِ مَنْ كَانَ نُصْبَ عَيْنِهِ وَوِجْهَةَ قَلْبِهِ فِي تِلَاوَتِهِ فِي الصَّلَاةِ وَفِي غَيْرِ الصَّلَاةِ مَا بَيَّنَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ مِنْ مَوْضُوعِ تَنْزِيلِهِ، وَفَائِدَةِ تَرْتِيلِهِ، وَحِكْمَةِ تَدَبُّرِهِ، مِنْ عَلَمٍ وَنُورٍ، وَهُدًىٰ وَرَحْمَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ وَعِبْرَةٍ، وَخُشُوعٍ وَخَشْيَةٍ، وَسُنَنٍ فِي الْعَالَمِ مُطَّرِدَةٍ.

فَتِلْكَ غَايَةُ إِنْذَارِهِ وَتَبْشِيرِهِ، وَيَلْزَمُهَا عَقْلًا وَفِطْرَةً تَقْوَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِتَرْكِ مَا نَهَىٰ عَنْهُ، وَفِعْلِ مَا أَمَرَ بِهِ بِقَدْرِ الِاسْتِطَاعَةِ، فَإِنَّهُ كَمَا قَالَ: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾)[١].

كما أن الذي ينظُر للقرآن أو السورة نظرًا مقاصديًّا يسهل عليه الحفظ، ويتيسر عليه التعامل، فمن يقرأ ما كتبه صاحب الظلال في مقدمة ظلاله وقبل كل سورة سيشعر أنه استوعب السورة وتشبع بها؛ ذلك، أن الفهم المقاصدي للقرآن وسوره يعطي صورة شاملة للإنسان عن القرآن أو الموضوع أو السورة، وييسر على عقله تصور موضوعات القرآن، وصلة كل موضوع بالآخر، وكيف تقيم هذه الموضوعات وحدة بنائية أو موضوعية سواء في موضوع أو في سورة من السور، وهذا مما ييسر الفهم والاستيعاب والحفظ.

رابعًا: تقليلًا للخلاف بين المفسرين والتعصب عند المسلمين:

من الفوائد المهمة التي يحققها التفسير المقاصدي والنظر المقاصدي في القرآن الكريم أنه يقلل الخلاف ويرفعه، ويمنع التعصب ويحاصره، فالتفسير وفق مقاصد القرآن يرفع اختلاف المختلفين، ويقرب بين المتباعدين، ويؤلف بين المتنافرين، وهي ميزة عامة للفكر المقاصدي في كل مجال وفي أي علم وفي أية قضية ومسألة؛ لأنه فكر يجمع ولا يفرق، ويبني ولا يهدم، ويجدد ولا يبدد.

ولهذا فإن الشاطبي وهو يتحدث عن أهمية معرفة السياقات ومقتضى الحال

(١) تفسير القرآن الحكيم المسمى (تفسير المنار): ١/ ٨.

الذي واكب نزول القرآن، أورد أثرًا يبين ذلك ويوضحه، وهو ما روىٰ أبو عبيد، عن إبراهيم التيمي؛ قال: (خلا عمر ذات يوم؛ فجعل يحدث نفسه: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد، [وقبلتها واحدة]؟ [فأرسل إلىٰ ابن عباس؛ فقال: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة؟].

فقال: ابن عباس: يا أمير المؤمنين! إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيما نزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرءون القرآن ولا يدرون فيما نزل، فيكون لهم فيه رأي، فإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا.

قال: فزجره عمر وانتهره؛ فانصرف ابن عباس، ونظر عمر فيما قال؛ فعرفه فأرسل إليه؛ فقال: أعد علي ما قلت. فأعاده عليه؛ فعرف عمر قوله وأعجبه[(١)].

فأنت ترىٰ هنا حينما توقف عمر وسمع القول وتدبره ووقَف علىٰ أسراره ومغازيه، ومن ثم عرف القول وأعجبه ورُفع الحلاف، بل انتهىٰ الزجر والنهر.

والحق أن المقاصد القرآنية وبخاصة القطعية والأصلية النصية منها متىٰ كانت لها هذه الحجية باعتبار ثبوتها ووضوحها وانضباطها واطرادها وسلامتها من المعارض يكون دورها الحاسم في التقليل من الخلاف بل القضاء عليه تمامًا، فمتىٰ ظهر المقصد لا يصح -بل لا يجوز- أن يكون هناك خلاف.

ولهذا جعل ابن عاشور أعظم ما يهم المتفقهين إيجاد ثلة من المقاصد القطعية ليجعلوها أصلًا يصار إليه في الفقه والجدل[(٢)]، وقال: (إذا انتظم الدليل علىٰ إثبات مقصد شرعي وجب علىٰ المتجادلين فيه أن يستقبلوا قبلة الإنصاف، وينبذوا الاحتمالات الضعاف)[(٣)].

---

(١) الموافقات للشاطبي: ٤/ ١٤٨.

(٢) مقاصد الشريعة: ٣٧. طبعة دار السلام.

(٣) مقاصد الشريعة: ١٧. دار السلام.

ولعل المنهج الذي وضعه الإمام الشاطبي في طرق معرفة مقاصد الشارع يكون له أثر في جمع الكلمة ولم الشمل وحسم الخلاف وتوحيد المختلفين، وهو منهج وسط بين الظاهرية والباطنية؛ حيث تَمَثَّلَ منهجه في أربعة قواعد: التماس المقصد في نفس الأمر والنهي، ومن علل الأمر والنهي، وتقسيم المقاصد إلىٰ أصلية وتبعية، والتماس المقصد الشرعي في عدم الفعل لا الفعل[(١)].. وهذه المسالك يستفاد منها في مجال القرآن.

وهذا الوضوح في المقاصد القرآنية يقلل الخلاف -إن لم يحسم- بين المفسرين، وبخاصة في القضايا القرآنية الكبرىٰ، وكذلك في آيات الأحكام التي يكثر فيها الاختلاف نظرًا لطبيعتها الفقهية، فمتىٰ اتضحت المقاصد القرآنية وكانت بينة في القرآن فلا شك أننا سنوفر علىٰ أنفسنا عناءً كبيرًا في البحث والتنقيب والحيرة بين أقوال المفسرين.

خامسًا: معيارًا للتحاكم في الفهم والتطبيق:

ومن فوائد الاحتكام إلىٰ مقاصد القرآن بأنواعها في تفسيره أنها معيار يُرجع إليه ويُعول عليه ويُصدَر عنه، سواء في الفهم أم في التطبيق.

فمقاصد القرآن العامة هي المرجع والمعوَّل عند النظر الكلي في القرآن الكريم لدىٰ المفسرين، فأي تناول كلي، أو نظر كلي، أو تعامل كلي في القرآن الكريم فلا شك أن المقاصد العامة للقرآن ستكون هي الضابطة لهذا النظر، والموجهة لهذا التفكير، والمرشِّدة لهذا المنهج، والمسددة لهذا التعامل.

---

(١) أثر المقاصد في حصر الخلاف عند الإمام الشاطبي. نجيبة رحماني. مخبر الدراسات الشرعية. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة. الجزائر. العدد الرابع: ١/ ١٩١-٢٠٥. صفر ١٤٢٦هـ/ مارس ٢٠٠٥م.

وكذلك المقاصد الخاصة التي هي مقاصد المجالات أو الموضوعات ستقوم بالوظائف نفسها مع النظر الموضوعي أو المجالي في القرآن الكريم.

وقل مثل ذلك في السور، فلا يسرح المفسر في الحديث في السورة أو عنها إلا بقدر ما تسرحه مقاصد تلك السورة، فإن مقاصد السورة هي منتهىٰ النظر التفسيري لدىٰ المفسر لا ينبغي أن يتجاوزه ولا يتعداه.

وكذلك مقاصد الآيات والكلمات المحكومة بمقاصد السورة ينبغي للمفسر أن يعتمدها معيارًا للفهم والنظر عند التفسير التحليلي أو التفصيلي للآيات القرآنية والكلمات القرآنية.

قال الإمام ابن عاشور في المقدمة الرابعة من تفسيره: (معرفة المقاصد التي نزل القرآن لبيانها حتىٰ تستبين لكم غاية المفسرين من التفسير علىٰ اختلاف طرائقهم، وحتىٰ تعلموا عند مطالعة التفاسير مقادير اتصال ما تشتمل عليه بالغاية التي يرمي إليها المفسر؛ فتزنوا بذلك مقدار ما أوفىٰ به من المقصد، ومقدار ما تجاوزه، ثم ينعطف القول إلىٰ التفرقة بين من يفسر القرآن بما يخرج عن الأغراض المرادة منه، وبين من يفصل معانيه تفصيلا)[١].

وإذا كان هذا علىٰ مستوىٰ النظر فإن للمقاصد القرآنية أهمية كبيرة عند التطبيق كذلك، فالقرآن الكريم جاء ليحكم، وجاء ليقود حياة الناس، ويسوس أمور دينهم ودنياهم وَفْقَهُ، وهنا لن يكون معيار التحاكم عند التطبيق إلا وفق مقاصد القرآن.

فمقاصد القرآن بمراتبها هي التي تضمن لنا صحة التنزيل، وسلامة التطبيق، ومن هنا يحقق التنزيل أغراضه، ويثمر التطبيق مقاصده وثمراته، وهذه هي **الفائدة**

(١) التحرير والتنوير: ١/ ٣٦.

العظمىٰ من القرآن: أن تتحقق مقاصده في حياة الناس؛ نورًا وهدايةً ونجاحًا، ورضًىٰ وظهورًا وفلاحًا.

سادسًا: ترجيحًا لأقوال المفسرين وآرائهم:

من مقاصد التفسير المقاصدي للقرآن أو النظر المقاصدي فيه ترجيح الأقوال والآراء؛ استنادًا إلىٰ المقاصد القرآنية أو مقاصد الشريعة نفسها، التي هي في حقيقتها ضمن مقاصد القرآن وجزء منه، وقد يكون الترجيح بناء علىٰ مقاصد كلية للقرآن الكريم، أو مقاصد خاصة أو جزئية، ولا يكون هذا الترجيح إلا مع منهج التفسير المقارن.

ففي قول الله تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النور: ٢٦]، تحدث المفسرون: هل المقصود بمن يستأذن البصير والأعمىٰ؟ وما عدد مرات الاستئذان: هل هي ثلاثة أم أقل أم أكثر؟

والمقصد من الاستئذان في قول الله تعالىٰ: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ﴾، هو كون البيوت مسكونة؛ إذ لا يأمن من يدخل عليها بغير استئذان أن يرىٰ عورات الناس، وما لا يحل النظر إليه، أو ما لا يرغب أهل البيوت أن يراه الزائرون.

يبين الشيخ السايس طبيعة هذا الأدب وكيفيته مستندا إلىٰ مقصد الحكم قائلا: (ومن الأدب في الاستئذان أنه إذا وقف المستأذن ينتظر الإذن فلا يستقبل الباب بوجهه، بل يجعله عن يمينه أو شماله.

وكان رسول اللّه ﷺ إذا أتىٰ باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر.. قالوا: لأنّ الدّور لم يكن عليها حينئذ ستور.

ولكن ينبغي أن يكون الأمر كذلك في الدور الآن، ولو كانت مغلقة الأبواب عند الاستئذان، فإنّ الطارق إذا استقبلها فقد يقع نظره عند الفتح له علىٰ ما لا يجوز، أو ما يكره أهلِ البيت اطلاعه عليه)[١].

وهل هذا الحكم في حق البصير دون الأعمىٰ؟

قال الشيخ السايس: (وظاهر الآية أنّ الاستئذان واجب علىٰ كلّ طارق، ولو كان أعمىٰ، وبذلك قال العلماء؛ لأنّ من عورات البيوت ما يدرك بالسمع، ففي دخول مكفوف البصر علىٰ أهل بيت بغير إذنهم إيذاء لهم.

فأما ما رواه الشيخان من قوله ﷺ: «**إنما جعل الاستئذان من أجل النّظر**»[٢]، فهو جار علىٰ الغالب، وليس الحصر فيه علىٰ سبيل التحقيق، بل هو حصر ادعائي مبني علىٰ المبالغة، وكمال العناية بالحث علىٰ حفظ النظر.

وسياق القصة التي قال فيها النبي ﷺ ذلك يدلّ علىٰ ما ذكرناه، فقد روىٰ سهل بن سعد أنّه اطلع رجل في حجرة من حجر النبي ﷺ، ومع النبي مدرىٰ يحكّ بها رأسه فقال: «**لو أعلم أنّك تنظر لطعنت بها في عينك، إنما جعل الاستئذان من أجل النّظر**» وإذا كان الأمر كذلك، وكان القصد المبالغة والتشديد علىٰ ذلك الرجل الذي كان يطّلع علىٰ حجرة النبي ﷺ علم الغرض من ذلك الحصر، ولم يكن في الحديث حينئذ دلالة علىٰ نفي أنه قد يكون الاستئذان من أجل

(١) تفسير آيات الأحكام: ٣/ ١٥٤-١٥٥. شرح الشيخ محمد علي السايس. وتحقيق طه عبد الرؤوف سعد. المكتبة الأزهرية للتراث. ٢٠٠٠م، والحديث رواه أبو داود في السنن (٤/ ٣٨٦)، كتاب الأدب، باب كم مرة يسلم حديث رقم (٥١٨٦).

(٢) رواه مسلم في الصحيح (٣/ ١٦٩٨)، كتاب الآداب، باب تحريم النظر حديث رقم (٤٠/ ٢١٥٦)، والبخاري في الصحيح (٧/ ١٦٨)، ٧٩ - كتاب الاستئذان، باب الاستئذان حديث رقم (٦٢٤١).

السمع. فالمقصود إفادة أنّ النظر من أقوىٰ الأسباب التي شرع لها الاستئذان)[١].

وأما عن عدد مرات الاستئذان فقال: (وظاهر الآية أنّ الاستئذان غير مقيّد بعدد، فإن استأذن مرة فأجيب بالإذن دخل، وإن أجيب بالرد رجع، وإن لم يجب فلا عليه أن يرجع.

وقال بعض العلماء: إنّ الاستئذان ثلاث مرات، فمن لم يؤذن له بعدهن فليرجع، إلا إذا أيقن أنّ من في البيت لم يسمع، فإنّه يجوز له الزيادة علىٰ الثلاث.

والحكمة في هذا العدد: أنّ المرة **الأولىٰ**: لإسماع من في البيت، **والثانية**: ليتهيؤوا، **والثالثة**: ليأذنوا، أو يردوا)[٢].

وهل الاستئذان مقصور علىٰ الرجال فقط دون النساء أم أنه يشمل النساء مع الرجال؟

قال الشيخ السايس معتمدًا علىٰ مقصد التشريع: (وظاهر التعبير في الآية باسم الموصول الخاص بجماعة الذكور أنّ النساء ليس عليهن استئذان، ولكنّك تعلم أنّ الحكمة التي من أجلها شرع الاستئذان متحققة في الرجال والنساء معًا.

ولهذا قال العلماء: إنّ في الآية تغليب الرجال علىٰ النساء، كما هو المعهود في الأوامر والنواهي القرآنية المبدوءة بمثل هذا النداء، وعلىٰ هذا يكون علىٰ المرأة إذا أرادت أن تدخل بيت غيرها أن تستأذن قبل الدخول، فإنّ الناس قد يكرهون أن يطلع بعض النساء علىٰ بيوتهم، ويظهرن علىٰ ما فيها من أسراره)[٣].

فأنت ترىٰ في مثال واحد فقط كيف كان النظر المقاصدي في القرآن الكريم

(١) تفسير آيات الأحكام: ٣/ ١٥٥.

(٢) تفسير آيات الأحكام: ٣/ ١٥٤.

(٣) تفسير آيات الأحكام: ٣/ ١٥٥.

هو عماد القول، وأساس الترجيح، سواء في طبيعة الأدب الذي هو الحكم، أو في عدد أفراده وطبيعتهم رجالًا ونساءً، أو في عدد مرات الاستئذان، أو كان المستأذن بصيرًا أو أعمىٰ..

فهذا المثال ترجَّح القول فيه بل حُسم -كما ترىٰ- استنادًا إلىٰ المقاصد القرآنية حسب مرادات القرآن وسياقات حديثه، وهو منهج يستخدم في مناهج التفسير جميعا.

سابعًا: استبعادًا لما لا فائدة فيه:

وهذا مقصد مهم نستفيده من التفسير المقاصدي للقرآن الكريم وسوره، فكثيرا ما يختلف المفسرون في تأويل آية من الآيات، ويقفون عند أشياء ما كان أغناهم عنها، ولو توقفوا عند حدود ما اهتم به القرآن وقصده في خطابه لما خاضوا في بعض ما خاضوا فيه.

وهذا هو منهج القرآن ومنهج الإسلام، وهكذا كان الصحابة ﵃، كانوا دائمًا لا يهتمون بما ليس تحته عمل، وقد كان أئمتنا وفقهاؤنا كذلك، فإمام دار الهجرة مالك بن أنس كان يكره الكلام فيما ليس تحته عمل، ويحكي كراهيته عمن تقدم.

ففي سورة النمل قال تعالىٰ: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النمل: ١٧]؛ هل هناك داع هنا للخلاف حول عدد الجيش الذي سخره الله تعالىٰ لسليمان؟ أم أنه يكفينا أن نعلم أن الله تعالىٰ قد سخر لسليمان جندًا من الجن والإنس والطير، إلا أن عدد هؤلاء الجنود مرد علمه إلىٰ الله تعالىٰ وحده، وإن كان التعبير القرآني يشعر بأن هؤلاء الجند المجموعين يمثلون مركبًا عظيمًا، وحشدًا كبيرًا؟

وفي الآية بعدها قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، هل نحن بحاجة لمعرفة ما إذا كانت النملة ذكرا أم أنثىٰ؟ أم أنه يكفينا أن نعلم أن الله تعالىٰ أوحىٰ لهذه النملة بقدرته وجعلها سببًا في إنقاذ أمتها، وأن الله تعالىٰ علم سليمان منطق هذه الحشرات، وتعامل معها بما علمه الله تعالىٰ إياه؟

ولهذا قال الشوكاني في (**فتح القدير**): (ولا يتعلق بمثل هذا كثير فائدة، ولا بالتعرّض لاسم النملة، ولما ذكر من القصص الموضوعة، والأحاديث المكذوبة)[١].

وفي وجوه عدم استحسان الخوض فيما ليس تحته عمل يقول الشاطبي: وبيان عدم الاستحسان فيه من أوجه متعددة:

- منها: أنه شغل عما يعني من أمر التكليف الذي طوقه المكلف بما لا يعني، إذ لا ينبني علىٰ ذلك فائدة؛ لا في الدنيا، ولا في الآخرة، أما في الآخرة؛ فإنه يسأل عما أمر به أو نهي عنه، وأما في الدنيا؛ فإن علمه بما علم من ذلك لا يزيده في تدبير رزقه ولا ينقصه..

- ومنها: أن الشرع قد جاء ببيان ما تصلح به أحوال العبد في الدنيا والآخرة علىٰ أتم الوجوه وأكملها، فما خرج عن ذلك قد يظن أنه علىٰ خلاف ذلك، وهو مشاهد في التجربة العادية؛ فإن عامة المشتغلين بالعلوم التي لا تتعلق بها ثمرة تكليفية تدخل عليهم فيها الفتنة والخروج عن الصراط المستقيم)[٢].

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: ١٠٧٥. محمد بن علي الشوكاني. دار المعرفة. بيروت. الطبعة الرابعة. ١٤٢٨هـ. ٢٠٠٧م.

(٢) الموافقات: ١/ ٥٣-٥٤.

ويقرر الإمام محمد رشيد رضا أن هناك روايات موضوعة وآثارًا كثيرة وقضايا أخرىٰ يجب استبعادها؛ لأنها تصرف المفسر أو الناظر في القرآن عن مقاصده وهداياته، يقول: (كَانَ مِنْ سُوءِ حَظِّ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ أَكْثَرَ مَا كُتِبَ فِي التَّفْسِيرِ يَشْغَلُ قَارِئَهُ عَنْ هَذِهِ الْمَقَاصِدِ الْعَالِيَةِ، وَالْهِدَايَةِ السَّامِيَةِ، فَمِنْهَا مَا يَشْغَلُهُ عَنِ الْقُرْآنِ بِمَبَاحِثِ الْإِعْرَابِ وَقَوَاعِدِ النَّحْوِ، وَنُكَتِ الْمَعَانِي وَمُصْطَلَحَاتِ الْبَيَانِ، وَمِنْهَا مَا يَصْرِفُهُ عَنْهُ بِجَدَلِ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَتَخْرِيجَاتِ الْأُصُولِيِّينَ، وَاسْتِنْبَاطَاتِ الْفُقَهَاءِ الْمُقَلِّدِينَ، وَتَأْوِيلَاتِ الْمُتَصَوِّفِينَ، وَتَعَصُّبِ الْفِرَقِ وَالْمَذَاهِبِ بَعْضِهَا عَلَىٰ بَعْضٍ، وَبَعْضُهَا يَلْفِتُهُ عَنْهُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَاتِ، وَمَا مُزِجَتْ بِهِ مِنْ خُرَافَاتِ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، وَقَدْ زَادَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ صَارِفًا آخَرَ عَنِ الْقُرْآنِ هُوَ مَا يُورِدُهُ فِي تَفْسِيرِهِ مِنَ الْعُلُومِ الرِّيَاضِيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْعُلُومِ الْحَادِثَةِ فِي الْمِلَّةِ عَلَىٰ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي عَهْدِهِ، كَالْهَيْئَةِ الْفَلَكِيَّةِ الْيُونَانِيَّةِ وَغَيْرِهَا، وَقَلَّدَهُ بَعْضُ الْمُعَاصِرِينَ بِإِيرَادِ مِثْلِ ذَلِكَ مِنْ عُلُومِ هَذَا الْعَصْرِ وَفُنُونِهِ الْكَثِيرَةِ الْوَاسِعَةِ، فَهُوَ يَذْكُرُ فِيمَا يُسَمِّيهِ تَفْسِيرَ الْآيَةِ فُصُولًا طَوِيلَةً بِمُنَاسَبَةِ كَلِمَةٍ مُفْرَدَةٍ كَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِنْ عُلُومِ الْفَلَكِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ، تَصُدُّ قَارِئَهَا عَمَّا أَنْزَلَ اللهُ لِأَجْلِهِ الْقُرْآنَ)(١).

كما أن الشيخ رشيد رضا ينفي كذلك أن تكون التواريخ وضبطها مما يهتم به القرآن، قال: (بَيَّنَّا مِرَارًا أَنَّ أَحْدَاثَ التَّارِيخِ وَضَبْطَ وَقَائِعِهِ وَأَزْمِنَتِهَا وَأَمْكِنَتِهَا لَيْسَ مِنْ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ)(٢).

ثامنًا: إدراجًا لما فيه فائدة:

وإذا كان من مقاصد النظر المقاصدي في القرآن وفوائده: استبعاد ما لا فائدة

(١) تفسير القرآن الحكيم المسمىٰ (تفسير المنار): ١/ ٨. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ١٩٩٠م.
(٢) تفسير القرآن الحكيم المسمىٰ (تفسير المنار): ١٢/ ٨٤.

منه، فإنه أيضا يسهم في إدخال ما فيه فائدة والتركيز عليه والاهتمام به؛ فالمقاصد هنا تقوم بدور معياري ومنهجي، يحدد لنا ما ندرجه وما لا ندرجه، فهي كالمصفاة التي تفرّق بين ما هو نافع، وما هو غير ذلك.

ومن ذلك ما أورده العلامة الطاهر ابن عاشور من الإفادة بالعلوم العقلية، وكذلك تفاريع الأخلاق والآداب التي أكثر منها حجة الإسلام الغزالي في كتاب الإحياء، فلا يلام المفسر إذا أتىٰ بشيء من تفاريع العلوم مما له خدمة للمقاصد القرآنية، وله مزيد تعلق بالأمور الإسلامية كما نفرض أن يفسر قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤]، بما ذكره المتكلمون في إثبات الكلام النفسي والحجج لذلك، والقول في ألفاظ القرآن، وما قاله أهل المذاهب في ذلك.

وكذا أن يفسر ما حكاه الله تعالىٰ في قصة موسىٰ مع الخضر بكثير من آداب المعلم والمتعلم كما فعل الغزالي، وقد قال ابن العربي: إنه أملىٰ عليها ثمانمائة مسألة.

وكذلك تقرير مسائل من علم التشريح لزيادة بيان قوله تعالىٰ في خلق الإنسان: ﴿مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ﴾ [الحج: ٥]، فإنه راجع إلىٰ المقصد وهو مزيد تقرير عظمة القدرة الإلهية.

ويضيف ابن عاشور تعزيزات أخرىٰ للمقاصد القرآنية يجلب المفسر لها مسائل علمية من علوم لها مناسبة بمقصد الآية: إما علىٰ أن بعضها يومئ إليه معنىٰ الآية ولو بتلويح ما كما يفسر أحد قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، فيذكر تقسيم علوم الحكمة ومنافعها مُدخلا ذلك تحت قوله: ﴿خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾، فالحكمة وإن كانت علما اصطلاحيًّا وليس هو تمام المعنىٰ للآية إلا أن معنىٰ الآية الأصلي لا يفوت، وتفاريع الحكمة تعين عليه.

وكذلك أن نأخذ من قوله تعالىٰ: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر:٧]، تفاصيل من علم الاقتصاد السياسي وتوزيع الثروة العامة، ونعلل بذلك مشروعية الزكاة والمواريث والمعاملات المركبة من رأس مال وعمل، علىٰ أن ذلك تومئ إليه الآية إيماء.

وأن بعض مسائل العلوم قد تكون أشد تعلقًا بتفسير آي القرآن، كما نفرض مسألة كلامية لتقرير دليل قرآني مثل برهان التمانع لتقرير معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وكتقرير مسألة المتشابه لتحقيق معنىٰ نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذريات: ٤٧] فهذا كونه من غايات التفسير واضح.

وكذا قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾ [سورة ق: ٦]، فإن القصد منه الاعتبار بالحالة المشاهدة فلو زاد المفسر ففصل تلك الحالة وبين أسرارها وعللها بما هو مبين في علم الهيأة كان قد زاد المقصد خدمة(١).

أما الإمام محمد رشيد رضا، فيحبذ إدراج كل ما يمكن أن يعين علىٰ فهم القرآن، وإدراك أغراض القرآن، فيقول: (إِنَّ أَكْثَرَ مَا ذُكِرَ مِنْ وَسَائِلِ فَهْمِ الْقُرْآنِ فُنُونُ الْعَرَبِيَّةِ، لَا بُدَّ مِنْهَا، وَاصْطِلَاحَاتُ الْأُصُولِ وَقَوَاعِدُهُ الْخَاصَّةُ بِالْقُرْآنِ ضَرُورِيَّةٌ أَيْضًا، كَقَوَاعِدِ النَّحْوِ وَالْمَعَانِي، وَكَذَلِكَ مَعْرِفَةُ الْكَوْنِ وَسُنَنِ اللهِ تَعَالَىٰ فِيهِ - كُلُّ ذَلِكَ يُعِينُ عَلَىٰ فَهْمِ الْقُرْآنِ)(٢).

---

(١) التحرير والتنوير: ١/ ٣٩-٤١. طبعة بيروت. ٢٠٠٠م.

(٢) تفسير القرآن الحكيم المسمىٰ (تفسير المنار): ١/ ٨. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ١٩٩٠م.

وينبغي في هذا السياق ضبط الحديث عما يسمىٰ (**الإعجاز العلمي في القرآن**)؛ خدمة لتفسيره، فلا يكون إلا بشروطه وضوابطه، فإذا استخدمناه تجلية لبعض المعاني، وتثبيتًا وترسيخًا لبعض المقاصد القرآنية فينبغي أن يكون بلا إفراط ولا إغراق، فالإغراق في التفسير العلمي وحشوه بتفصيلات العلوم لا ريب أنه يخرجنا من نطاق التفسير، ويشغل القراء عن مقاصد القرآن، وربما يصدهم عن التفسير نفسه.

وهكذا يضيف الإمامان ابن عاشور ورشيد رضا ما يعزز المقصد ويقويه، وينظم العمل التفسيري وفق مقاصده، ويفيد في حسن الفهم وبينه، وإن لم يكن له صلة مباشرة بعلوم التفسير، أو كان من العلوم التجريبية العلمية الطبية وغيرها، مما هو ثابت علميًّا، وبشروط التفسير العلمي؛ حتىٰ لا نسيء من حيث أردنا الإحسان، ونعطي ما لا ثبات له صفة الثبات، وما لا صحة له صفة الصحة أو الصواب.

تاسعًا: ترشيدًا لفهم السنة والاجتهاد في الفقه والتنزيل:

أشرنا من قبل إلىٰ أن القرآن الكريم كتاب الكتب، ودليل الأدلة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة(١)، فمن القرآن الكريم يستمد الأصولي، ويأخذ الفقيه، ويرجع إليه الداعية، ويعتمد عليه المصلح، ومن ثم فإن الفهم الصحيح للقرآن الكريم هو تصحيح لفهمنا في كل مجال يعتمد عليه ويرجع إليه.

والفهم الحقيقي للقرآن الكريم وحقائقه ومقرراته متوقف علىٰ معرفة مقاصده بمراتبها وأنواعها، ولا طريق آخر لمعرفة عظمة القرآن وقيمته ومكانته إلا بالوقوف علىٰ مقاصده العامة والخاصة ومقاصد السور والآيات والكلمات.

---

(١) قال الإمام الشاطبي: (إن الكتاب قد تقرر أنه كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلىٰ الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه). الموافقات: ٤/ ١٤٤. طبعة دار ابن عفان.

وبمعرفة مقاصد القرآن يستقيم فهمنا لكل شيء وعلىٰ رأسها السنة النبوية؛ ولهذا قال الشيخ محمد الغزالي: (فلا يجوز أن يشتغل بالسنّة من لم يدرس علوم القران، ويضرب فيها بسهم وافر، فإن القران هو الدستور الأصيل للإسلام، وهو الذي يحدّد للمسلم بدقة تامة واجباته وحقوقه، ويرتّب التكاليف المنوطة به، ويوزّع العبادات علىٰ حياته، فلا تطغىٰ عبادة علىٰ أخرىٰ، ولا تطغىٰ كلها علىٰ عمله للحياة ومكانه فيها، والمرء الذي يعجز عن تحصيل هذه الحقائق من القران لن يعوضه عن فقدانها شيء اخر، والصورة التي تستقر في نفسه للإسلام -من غير القران- تضطرب فيها النّسب والألوان، وربما لحقها اختلاف كبير؛ ولذلك حرص أئمة الصّحابة علىٰ أن يخلوا الطريق للقران الكريم ليحتلّ مكانته الأولىٰ في القلوب، وحرصوا علىٰ ألّا يزاحمه في موضع الصّدارة شيء.... ويجيء بعد رسوخ القدم في فهم القران فهم ما يروىٰ من السنن علىٰ وجهه الحق، فخير لمن يقصّر عن فهم السنن أن يحبس لسانه في فمه فلا يقول: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام، ثم يسوق حديثًا لا يعرف ما المقصود منه)[1].

وإذا كان هذا موضع القرآن من السنة، ومكان السنة من القرآن فإن هذا يؤسس -أو أسس بالفعل- لتقديم فهم القرآن علىٰ السنة، ولن نفهم القرآن إلا بفهم مقاصده والوقوف علىٰ غاياته وأغراضه.

وإذا كان فهم القرآن الكريم علىٰ هذا النحو بفهم مقاصده سيسددنا في فهم السنة، ويقيم تفكيرنا فيها بشكل صحيح فإن هذا سينعكس كذلك علىٰ الفقه الإسلامي وأحكامه والاجتهاد فيها وفي نوازله ومستجداته.

ذلك، أن القرآن الكريم هو الذي يقدم التصور الرئيس للشرع الشريف وقضاياه بما هو كتاب الكتب ودليل الأدلة، وأنه يحتوي علىٰ آيات أحكام تزيد

---

(١) فقه السيرة: ٣٩، و٤١. محمد الغزالي السقا. دار القلم. دمشق. الطبعة الأولىٰ. ١٤٢٧هـ.

علىٰ الخمسمائة آية كما قرره أهل التفسير الفقهي، وهذه الآيات الفقهية لها امتدادات حاكمة في أبواب الفقه الإسلامي جميعًا، ومن شأن فهم القرآن في ضوء مقاصده التي قررها أن ينعكس ذلك علىٰ آيات الأحكام، ومن ثم سيكون لذلك تأثير وترشيد وتسديد في فهم الأحكام الفقهية، وإقامة القرآن الكريم بآيات أحكامه في ضوء مقاصده لموضوع ما مرجعًا وموئلا للمجتهد والفقيه يرجع إليه ويصدر عنه وينطلق منه ويعول عليه.

والذي أراه -بعد ذلك أيضًا- أن فهم القرآن الكريم وآيات أحكامه في ضوء مقاصد القرآن سوف يجدد فهم الفقه الإسلامي، وربما يمنحنا منهجية جديدة في تناول الأحكام الفقهية، ويحل لنا إشكالات قائمة في كتب التراث لم يسترشد بعضها بمقاصد القرآن في موضوعاته الفقهية، كما أنه سوف يقصر الطريق أمامنا في الوصول لأحكام شرعية للمستجدات والنوازل.

من أجل هذا دعوت وأدعو إلىٰ كتابة مشروع بحثي آخر غير التفسير المقاصدي، يتضمن البحث في موضوعات آيات الأحكام واستنباط مقاصدها موضوعيًّا من خلال حصرها وتتبعها في القرآن الكريم، وهذا مشروع سيكون له أثر ملحوظ في تجديد الفهم للقرآن الكريم، وتسديد الفهم للسنة النبوية، وترشيد الفهم لمجالات الفقه المتعلقة والملحقة بآيات الأحكام وموضوعاتها، وتجويد الاجتهاد في النوازل والمستجدات التابعة لها.

عاشرًا: تجديدًا للعلوم المنبثقة عن القرآن وضبطًا لها:

من المعلوم أن كثيرا من العلوم نشأت لخدمة الكتاب العزيز، وحسن فهمه، وتجلية هداياته وغاياته، ومن ذلك علوم اللغة العربية، وعلوم القرآن، وفي القلب منها علم التفسير، وهذه العلوم التي نبتت حول القرآن وترعرعت علىٰ ضفافه مر عليها قرون عدة بما يوجب إعادة النظر فيها، وتقويم مسارها، وتقييم وظائفها؛

كي تستعيد هذه العلوم عافيتها، وتجدد نشاطها، وتؤدي وظائفها، وتحقق غاياتها ومقاصدها.

ولن يكون هذا إلا من خلال رفع مقاصد هذه العلوم، والاحتكام إليها، وعلىٰ رأسها مقاصد القرآن نفسه التي يجب أن نُحاكم مقاصد العلوم إليها، فإن كان بينهما تمازج وبعضها يسلم إلىٰ بعض كان بها، وإلا فهي تحتاج إلىٰ مراجعة لإعادة صفها في مكانها الصحيح؛ كي تؤدي وظيفتها وتحقق مقاصدها.

فعلوم العربية والبلاغة التي نشأت لخدمة القرآن إذا لم تقم علىٰ تجلية جوانب العظمة في أساليب القرآن وتعبيراته، وطريقة نظمه وسبكه، وبيان إعجازه البلاغي واللغوي، فينبغي أن يعاد النظر في هذه العلوم ومنهجية تناولها.

وفي القلب من هذه العلوم علم التفسير، إذا لم يكن قائمًا الآن علىٰ تجلية مقاصد القرآن، وبيان هداياته، وإبراز أنواره، كي تفيد منها الأمة، فينبغي أن يراجع العلماء هذا العلم ويقوم المتخصصون علىٰ تجديده لاستلهام وظيفته.

ولهذا اتجه كثير من علماء التفسير في هذا العصر إلىٰ التفسير الموضوعي؛ وذلك لإبراز إعجاز القرآن علىٰ وجه يلائم العصر الحديث؛ لأن القرآن الكريم فيه من شمول الموضوعات ما يمكن أن يرد علىٰ ذهن العالم، ولأن كل موضوع حين نجمعه تكوّن رؤية القرآن فيه كاملة.

ولأن من فوائد هذا التفسير تلبية حاجة الأمة في هذا العصر، والقرآن موضوعاته متسعة تقوم بتلبية كل ما يريده المسلمون خاصة، والإنسانية عامة[1].

---

(١) راجع في فوائد التفسير الموضوعي: محاضرات في التفسير الموضوعي: ٢٥-٣٠ لشيخنا د. عبد الستار فتح الله سعيد.

وإذا كانت مقاصد القرآن تجدد مقاصد العلوم، ومقاصد العلوم تقوم معيارًا حاكمًا لهذه العلوم في تجديدها، وتحدد جوانب الاهتمام فيها، فإنها أيضا تقوم ضابطًا لكل علم من هذه العلوم، فهي تحدد مساره، وتقدم منه ما من حقه أن يتقدم، وتؤخر ما من حقه أن يتأخر، وتتوسع فيما يجب التوسع فيه، وتضيق فيما ينبغي التضييق فيه، وتهمل ما من حقه الإهمال، وتحيي ما من حقه الإحياء، وتُدخل ما يخدم الغايات والأهداف، وتُبعد ما لا فائدة فيه ولا عمل تحته..

وهكذا فإن المقاصد القرآنية حين نجعلها حَكَمًا، تجدد العلوم، وتخدم القرآن، وتتجدد بها علوم الدين والدنيا جميعًا.

❀ ❀ ❀

هذه من أهم المقاصد التي نجنيها من التعامل المقاصدي والنظر المقاصدي في القرآن الكريم، ولعل هناك مقاصد أخرىٰ نستطيع الوقوف عليها عبر التأمل والتدبر والنظر المتأني لهذا الموضوع.

خاتمـــة

تبين لنا من هذه التطوافات في موضوع التفسير المقاصدي للقرآن الكريم أهميته للمفسر، وأهميته للمشتغلين بالعلوم التي قامت حول خدمة القرآن الكريم، وحاول هذا البحث أن يقدم رؤية تأسيسية يتأسس عليها هذا النوع أو المنهج والاتجاه من التفسير، ببيان معناه، وتوضيح علاقاته بأنواع التفسير الأخرىٰ، ومنزلة التفسير المقاصدي منها، وذكر أنواعه، وتحديد مقوماته، ووضع ضوابطه، وتجلية فوائده وغاياته، وهي فوائد مهمة للمشتغلين بعلوم القرآن عامة، وعلوم التفسير خاصة.

وبقي أن يقوم لهذا المشروع، مشروع التفسير المقاصدي للقرآن الكريم، نفر من الذين أقامهم الله تعالىٰ علىٰ خدمة هذا القرآن العظيم، وشرَّفهم بهذه المنزلة وتلك المكانة، ويقدموا للأمة ما يخدم رسالتها في هذا العصر، وما يحقق لها الريادة، وما يعيدها لمنزلة الشهادة العالمين، حقيقة لا ادعاء، وواقعًا لا توقعًا.

ولا أملك في هذا الختام إلا أعتذر عما وقع من تقصير في هذا البحث -بآخر ما ذكره ابن خلدون في مقدمته (٣/ ١٢١٣. تحقيق د. علي عبد الواحد وافي)؛ حيث قال، وما أروع قوله!-: (وقد استوفينا من مسائله -يعني طبيعة العمران وما يعرض فيه- ما حسبناه كفاء له، ولعل من يأتي بعدنا ممن يؤيده الله بفكر صحيح وعلم مبين يغوص من مسائله علىٰ أكثر مما كتبنا، فليس علىٰ مستنبط الفن إحصاءُ مسائله، وإنما عليه تعيينُ موضع العلم وتنويعُ فصوله وما يُتكلم فيه، والمتأخرون يُلحقون المسائل من بعده شيئًا فشيئًا إلىٰ أن يكمل، والله يعلم وأنتم لا تعلمون). اهـ.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات..

أهم المراجع

١. أثر المقاصد في حصر الخلاف عند الإمام الشاطبي. نجيبة رحماني. مخبر الدراسات الشرعية. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة. الجزائر. العدد الرابع. صفر ١٤٢٦هـ/ مارس ٢٠٠٥م.

٢. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام. تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد. تحقيق: مصطفىٰ شيخ مصطفىٰ، ومدثر سندس. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الأولىٰ. ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٣. الإحكام في أصول الأحكام. ابن حزم الأندلسي. دار الآفاق الجديدة. ط٢. بيروت، وطبعة دار الحديث. القاهرة. الطبعة الأولىٰ. ١٤٠٤هـ.

٤. الأساس في التفسير. سعيد حوىٰ. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة. الطبعة الأولىٰ. ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م.

٥. الأشباه والنظائر علىٰ مذهب أبي حنيفة النعمان لزين الدين إبراهيم بن نجيم. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولىٰ. ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م.

٦. الاعتصام. لأبي إسحاق إبراهيم بن موسىٰ الشاطبي. ضبط نصه وقدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه مشهور بن حسن آل سلمان. مكتبة التوحيد. د.ط. د.ت.

٧. إعلام الموقعين. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية. تحقيق طه عبد الرؤوف سعد. دار الجيل.

٨. أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم. د. عبد الله شحاتة. طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ١٩٧٦م.

٩. البداية في التفسير الموضوعي. د. عبد الحي الفرماوي. الطبعة الثانية. ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

١٠. البرهان في علوم القرآن. بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية لعيسىٰ البابىٰ الحلبي وشركائه. الطبعة الأولىٰ. ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م.

١١. بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب. شمس الدين أبو الثناء محمود بن عبد الرحمن بن أحمد الأصفهاني. تحقيق: د. محمد مظهر بقا. معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي. مركز إحياء التراث الإسلامي. مكة المكرمة. الطبعة الأولىٰ. ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٢. التحرير والتنوير. محمد الطاهر ابن عاشور. الطبعة التونسية، وطبعة بيروت. ٢٠٠٠م.

١٣. التصوير الفني في القرآن. سيد قطب. دار الشروق. القاهرة. الطبعة السابعة عشرة. ١٤٢٥هـ. ٢٠٠٤م.

١٤. تفسير القرآن الحكيم المسمىٰ (تفسير المنار). الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ١٩٩٠م.

١٥. التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق لصلاح عبد الفتاح الخالدي. دار النفائس. الطبعة الثالثة. ١٤٣٣ه. ٢٠١٢م.

١٦. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. للشيخين أحمد الكومي ومحمد قاسم. الطبعة الأولىٰ. ١٤٠٢هـ. ١٩٨٢م.

١٧. تفسير آيات الأحكام. شرح الشيخ محمد علي السايس. وتحقيق طه عبد الرؤوف سعد. المكتبة الأزهرية للتراث. ٢٠٠٠م.

١٨. التناسق الموضوعي في السورة القرآنية. إعداد محمد بن عمر بن سالم بازمول. د.ت. د.ت.

١٩. التوقيف علىٰ مهمات التعاريف. زين الدين عبد الرؤوف المناوي. عالم الكتب. القاهرة. الطبعة الأولىٰ. ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٢٠. الجامع لأحكام القرآن. أبو عبد الله القرطبي. تحقيق: هشام سمير البخاري. دار عالم الكتب. الرياض. المملكة العربية السعودية. ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٢١. جهود الأمة في مقاصد القرآن الكريم. د. أحمد الريسوني. بحث شارك به في المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرآن الكريم وعلومه بعنوان: «جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه»، أيام ١٠-١١-١٢ جمادىٰ الأول ١٤٣٢هـ الموافق ١٤-١٥-١٦ أبريل ٢٠١١م، بمدينة فاس ـ المملكة المغربية.

٢٢. الرسالة. الإمام محمد بن إدريس الشافعي. دار التراث.

٢٣. زاد المعاد في هدي خير العباد. ابن قيم الجوزية. مؤسسة الرسالة. بيروت. مكتبة المنار الإسلامية. الكويت. الطبعة السابعة والعشرون. ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

٢٤. سنن ابن ماجه. ابن ماجه القزويني.

٢٥. سنن أبي داود. أبو داود السجستاني.

٢٦. صحيح ابن حبان. الإمام ابن حبان.

٢٧. صحيح البخاري. الإمام محمد بن إسماعيل البخاري.

٢٨. صحيح مسلم. الإمام مسلم بن الحجاج.

٢٩. علم مقاصد السور. د. محمد الربيعة. الطبعة الأولىٰ. ١٤٢٣هـ. ٢٠١١م.

٣٠. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. محمد بن علي الشوكاني. دار المعرفة. بيروت. الطبعة الرابعة. ١٤٢٨هـ. ٢٠٠٧م.

٣١. الفكر المقاصدي قواعده وفوائده. د. أحمد الريسوني. دار الهادي. بيروت. الطبعة الأولىٰ. ١٤٢٤هـ. ٢٠٠٣م.

٣٢. في ظلال القرآن. سيد قطب. سيد قطب. دار الشروق. القاهرة.

٣٣. فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير. محمد عبد الرؤوف المناوي. ضبطه وصححه أحمد عبد السلام. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٣٤. القاموس المحيط. مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي الفيروزابادي.

٣٥. قواعد الأحكام في مصالح الأنام. تحقيق: محمود بن التلاميذ الشنقيطي. دار المعارف. بيروت. لبنان. بدون تاريخ. وطبعة مؤسسة الريان.

٣٦. قواعد الفقه لمحمد عميم الإحسان البركتي. دار الصدف ببلشرز. كراتشي. الطبعة الأولىٰ. ١٤٠٧هـ. ١٩٨٦م.

٣٧. لسان العرب لابن منظور الأفريقي. دار صادر. بيروت. الطبعة الثالثة. ١٤١٤هـ.

٣٨. مجموع الفتاوىٰ. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني. تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار. دار الوفاء. المنصورة. الطبعة الثالثة. ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥م.

٣٩. محاضرات في التفسير الموضوعي. لشيخنا د. عبد الستار فتح الله سعيد. دار النداء. اسطنبول. الطبعة الأولىٰ. ٢٠١٤م.

٤٠. المحيط في اللغة. إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد.

٤١. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، أبو عبد الله. تحقيق: محمد حامد الفقي. دار الكتاب العربي. بيروت. الطبعة الثانية. ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٤٢. المدخل إلىٰ التفسير الموضوعي. لشيخنا الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد.

٤٣. مدخل إلىٰ مقاصد الشريعة. د. أحمد الريسوني. دار الأمان بالرباط.

ودار السلام بالقاهرة. الطبعة الأولىٰ. ١٤٣١هـ. ٢٠١٠م.

٤٤. المستدرك. الحاكم النيسابوري.

٤٥. مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور. بحث للدكتور عادل بن محمد أبو العلاء. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. العدد: ١٢٩- السنة ٣٧ - ١٤٢٥هـ.

٤٦. مصاعد النظر للإشراف علىٰ مقاصد السور. برهان الدين البقاعي. تحقيق د. عبد السميع محمد حسنين. مكتبة المعارف. الرياض. الطبعة الأولىٰ. ١٤٠٨هـ. ١٩٨٧م.

٤٧. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي.

٤٨. معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة. محمَّد بنْ حسَيْن بن حَسنْ الجيزاني. دار ابن الجوزي. الطبعة الخامسة. ١٤٢٧هـ.

٤٩. معركة الوجود بين القرآن والتلمود. لشيخنا العلامة عبد الستار فتح الله سعيد. الطبعة الثانية. ١٤٠٢هـ.

٥٠. معيار العلم في فن المنطق. لأبي حامد الغزالي. شرحه أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. الطبعة الثانية. ٢٠١٣م.

٥١. مقاصد الأحكام الفقهية تاريخها ووظائفها التربوية والدعوية. د. وصفي عاشور أبو زيد. طبعة وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالكويت عدد (٥٦) من سلسلة روافد. الطبعة الأولىٰ. ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م.

٥٢. المقاصد الجزئية ضوابطها حجيتها وظائفها أثرها في الاستدلال الفقهي. د. وصفي عاشور أبو زيد. دار المقاصد. القاهرة. الطبعة الأولىٰ. ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٥٣. مقاصد الشريعة الإسلامية. محمد الطاهر ابن عاشور. طبعة دار السلام.

٥٤. مقاصد القرآن من تشريع الأحكام. د. الحامدي. دار ابن حزم. بيروت. الطبعة الأولىٰ. ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٥٥. مقاصد المقاصد. د. أحمد الريسوني. طبعة دار النداء. اسطنبول. ٢٠١٤م

٥٦. من تراث الإمام البنا. الكتاب الثاني: التفسير. جمعة أمين عبد العزيز. دار الدعوة. الإسكندرية. الطبعة الأولىٰ. ١٤٢٦هـ. ٢٠٠٥م.

٥٧. الموافقات. الإمام الشاطبي. تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان. دار ابن عفان الطبعة: الطبعة الأولىٰ ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٥٨. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم. د. محمد عبد الله دراز. دار الثقافة. الدوحة. ١٩٨٥م، وطبعة أخرىٰ اعتنىٰ به: أحمد مصطفىٰ فضلية. قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني. دار القلم للنشر والتوزيع. طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٥٩. نحو تفسير سنني للقرآن الكريم. د. رمضان خميس زكي الغريب. دار المقاصد. القاهرة. الطبعة الأولىٰ. ٢٠١٥م.

٦٠. نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم. محمد الغزالي. دار الشروق. القاهرة. الطبعة الرابعة. ١٤٢٠هـ. ٢٠٠٠م.

٦١. نظرات في التربية والسلوك. مقالات لحسن البنا جمعها عصام تليمة.

٦٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. برهان الدين البقاعي. تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي. دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ. ١٩٩٥م.

٦٣. هذا الدين. سيد قطب. دار الشروق. القاهرة. الطبعة السابعة عشرة. ١٤٢٢هـ. ٢٠٠١م.

السيرة ذاتية

* وصفي عاشور علي أبو زيد.

* يحفظ القرآن الكريم برواية مسندة إلىٰ حفص عن عاصم.

* حصل علىٰ درجة أستاذ مشارك في أصول الفقه ومقاصد الشريعة من جامعة طرابلس في لبنان، وعلىٰ درجة أستاذ من جامعة مكة المكرمة المفتوحة.

* حصل علىٰ درجة الدكتوراه بعنوان: (**المقاصد الجزئية وأثرها في الاستدلال الفقهي، دراسة تأصيلية تطبيقية**) في يوليو ٢٠١١م بمرتبة الشرف الأولىٰ من كلية دار العلوم جامعة القاهرة، وكتبت بعض الصحف والمواقع عن الرسالة ومناقشتها.

* حصل علىٰ ماجستير في الفقه والأصول من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، بتقدير ممتاز، في مارس ٢٠٠٥م، بعنوان: (**نظرية الجبر في الفقه الإسلامي، دراسة تأصيلية تطبيقية**)، وكتبت الصحف المصرية عن مناقشتها، وعن الكتاب حين صدر.

* حصل علىٰ (تمهيدي ماجستير) من قسم الشريعة الإسلامية بنفس الكلية والجامعة ١٩٩٨م.

* حصل علىٰ ليسانس اللغة العربية والعلوم الإسلامية من نفس الكلية والجامعة ١٩٩٧م.

* حصل علىٰ إجازات مسندة في بعض كتب السنة ومصطلح الحديث، مثل: صحيح البخاري، صحيح مسلم، مسند الدارمي، الأربعون النووية، ما لا يسع المحدث جهله، ألفية الحديث للعراقي، المنظومة البيقونية، شرحها للزرقاني، ألفية الحديث للسيوطي، قصيدة غرامي صحيح، شرحها لابن عبد الهادي، كتاب الأربعين في فضائل الصحابة، كتاب الأربعين في فضائل آل البيت، وغيرها.

* حصل علىٰ إجازة في العلوم الشرعية من فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي، وإجازة أخرىٰ بتدريس كتبه.

* كرمته وزارة الأوقاف الكويتية عام ٢٠٠٤م باعتباره أحد الكتاب المتميزين في مجلة الوعي الإسلامي، والعالمي للوسطية بالكويت أعوام ٢٠٠٨م، ٢٠٠٩، ٢٠١٠، ٢٠١١م، لإلقائه بعض المحاضرات والدورات لوفود الدعاة من البلاد الآسيوية، والإفريقية، والأوربية، وبرنامج علماء المستقبل لجهوده في البرنامج.

* شارك في عشرات المؤتمرات والندوات الدولية المتخصصة بأوراق بحثية محكمة.

* عضو محكَّم لدىٰ بعض الجامعات في أبحاث الترقية لدرجات الأستاذية.

* عضو محكم لدىٰ عدد من المجلات الدولية في الأبحاث العلمية.

* درَّس علوم الشريعة الإسلامية في عدد من الجامعات.

* يشرف علىٰ عدد من رسائل الماجستير في الفقه والأصول والمقاصد.

* ألقىٰ عشرات المحاضرات والدورات المتعلقة بأصول الفقه والقواعد الفقهية ومقاصد الشريعة والدعوة الإسلامية في عدد من بلدان العالم.

* له عشرات الحلقات التليفزيونية علىٰ عدد من القنوات الفضائية.

* نشرت له الصحف والمجلات ومواقع الإنترنت مئات المقالات في الفقه والأصول والمقاصد والتربية والدعوة والشأن العام.

* عضو المجمع الفقهي الهندي.

* عضو مجلس الأمناء للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

* عضو المكتب التنفيذي ومجلس الأمناء لرابطة علماء أهل السنة.

* عضو لجنة البحوث بالاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

* رئيس القسم العلمي في رابطة علماء أهل السنة.

* عضو هيئة تحرير مجلة المسلم المعاصر.

* عضو الهيئة الاستشارية لتحرير مجلة مخبر الدراسات العقدية ومقارنة الأديان بالجامعة الإسلامية بالجزائر.

* عضو مؤسس في رابطة تلاميذ القرضاوي.

* عضو لجنة الموسوعة الفقهية بالمجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية (٢٠١٢-٢٠١٣م).

* عضو لجنة أصول الفقه ومقاصد الشريعة بالمجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية (٢٠١٢-٢٠١٣م).

* عضو المجلس الاستشاري لمنتدىٰ علماء المسلمين.

* أستاذ محكّم في بحوث ترقية الأساتذة.

* مستشار دعوي وإيماني لموقع إسلام أون لاين. نت.

* عضو المجلس الاستشاري لهيئة علماء فلسطين بالخارج.

* مستشار دعوي وإيماني لموقع الإسلام اليوم.

* عضو الجمعية الفلسفية المصرية منذ عام ٢٠٠٦م.

* باحث شرعي في المركز العالمي للوسطية منذ عام ٢٠٠٦م - ٢٠١٢م.

* مدير وحدة التأصيل الشرعي بالمركز العالمي للوسطية ٢٠٠٩م.

* عضو الاتحاد العربي للإعلام الإليكتروني.

* عضو المكتب التنفيذي لفرع اتحاد العلماء في تركيا.

* المشرف العلمي علىٰ معهد بناء لإعداد العلماء (٢٠١٢-٢٠١٣م)، ثم (٢٠١٥- ..).

* شارك في إعداد معلمة القواعد الفقهية التابعة لمجمع الفقه الإسلامي - جدة.

* عضو مجلس أمناء أكاديمية بناء العالمية لإعداد العلماء.

* شارك في إعداد (**مدونة الأسرة**) للملكة العربية السعودية (مشروع تقنين كل ما يخص الأسرة في ضوء الفقه الحنبلي والقوانين العربية الوضعية).

* شارك في إعداد (**موسوعة الفقه الإباضي**) التي تشرف عليها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في سلطنة عمان.

* له عشرات الاستشارات الفقهية والدعوية والإيمانية على موقع إسلام أونلاين، وموقع الإسلام اليوم.

* كتب مقدمات لأكثر من خمسة عشر كتابا لأساتذة وباحثين.

المؤلفات:

١. نظرية الجبر في الفقه الإسلامي، دراسة تأصيلية تطبيقية (رسالة ماجستير). نشرته دار السلام بالقاهرة ٢٠٠٧م.

٢. الحرية الدينية ومقاصدها في الإسلام. نشرته دار السلام بالقاهرة ٢٠٠٨م.

٣. في ظلال سيد قطب، لمحات من حياته وأعماله ومنهجه التفسيري. نشرته دار صوت القلم العربي بالقاهرة ٢٠٠٩م.

٤. مشاركة المرأة في العمل العام (التعريفات. الضوابط. المقاصد. الشبهات. التحديات. نماذج للمشاركات. المجالات. الأدوار المعينة). نشرته شركة منارات بالقاهرة ٢٠١٠م.

٥. المحاولات التجديدية المعاصرة في أصول الفقه، دراسة تحليلية. نشرته دار صوت القلم العربي بالقاهرة ٢٠٠٩م.

٦. رعاية المقاصد في منهج القرضاوي. نشرته دار البصائر بالقاهرة. ٢٠١١م.

٧. كلمات في صناعة الداعية الفقيه. نشرته وزارة الأوقاف الكويتية في المركز العالمي للوسطية ضمن سلسلة الأمة الوسط ٢٠١١م.

٨. منهج الشيخ محمد الغزالي في تناول مسائل العقيدة. نشرته دار البشير للثقافة والعلوم بالقاهرة. ٢٠١٥م.

٩. أهمية القرآن في حياة المسلم. منشور على الإنترنت موقع شبكة مشكاة الإسلامية ١٤٣١هـ.

١٠. أسس التعامل مع القرآن الكريم. منشور على الإنترنت موقع شبكة مشكاة الإسلامية ١٤٣١هـ.

١١. الجهاد في سبيل الله ... مقاصد وآثار. نشر على شبكة الألوكة ٢٠١٥م.

١٢. معالم الوسطية في الوقاية من العنف والتطرف. نشر في موقع صيد الفوائد ١٤٣٥هـ.

١٣. القرضاوي الإمام الثائر، دراسة تحليلية أصولية في معالم اجتهاده للثورة المصرية. نشرته دار سلطان للنشر والتوزيع بأمريكا ٢٠١١م.

١٤. مقاصد الأحكام الفقهية، تاريخها ووظائفها التربوية والدعوية. نشرته وزارة الأوقاف الكويتية ضمن سلسلة روافد ٢٠١٢م.

١٥. الوحدة الوطنية في الإسلام: مفهومها. ضوابطها. مقاصدها. نشرته دار المقاصد للنشر والتوزيع بالقاهرة ٢٠١٥م.

١٦. حفظ الأسرة ... مقصدًا شرعيا، قراءة في التدابير الشرعية لإقامتها واستمرارها. نشرته دار المقاصد للنشر والتوزيع بالقاهرة ٢٠١٥م.

١٧. المقاصد الجزئية: ضوابطها. حجيتها. وظائفها. أثرها في الاستدلال

الفقهي(رسالة دكتوراه). نشرتها دار المقاصد للنشر والتوزيع بالقاهرة ٢٠١٥م.

١٨. الآراء الأصولية للدكتور محمد عمارة. قراءة تحليلية نقدية. نشر في مجلة الدراسات الإسلامية بالجامعة العالمية الإسلامية بإسلام آباد بباكستان ٢٠١٣م.

١٩. التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم، في ظلال القرآن أنموذجا. نشر في موقع صيد الفوائد ١٤٣٥٦هـ.

٢٠. أحكام الشريعة بين التعبد والتعليل، قراءة أصولية في تحقيق أقوال العلماء. نشرته دار المقاصد للنشر والتوزيع بالقاهرة ٢٠١٥م.

٢١. التكوين العلمي للعلامة محمد الطاهر ابن عاشور، روافده وأثره في تكوين العقلية العلمية المجدِّدة. نشر ضمن أعمال الندوة العلمية في تونس عن الطاهر ابن عاشور عام ٢٠١٤م.

٢٢. القوة في السياسة الشرعية. عناصرها. ضوابطها. مقاصدها. نشر ضمن أعمال ندوة تطور العلوم الفقهية بسلطنة عمان في عامها الثالث عشر تحت عنوان: (الفقه الإسلامي المشترك الإنساني) ٢٠١٤م.

٢٣. مقدمات أصولية في ضبط العمل الثوري وترشيده. نشره المعهد المصري للدراسات باسطنبول ٢٠١٦م.

٢٤. نحو تفسير مقاصدي للقرآن الكريم، رؤية تأسيسية لمنهج جديد في تفسير القرآن، وهو الكتاب الذي بين يديك.

٢٥. رؤىٰ مقاصدية في أحداث عصرية. الجزء الأول. نشرته دار المقاصد للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة ٢٠١٦م.

٢٦. مئوية الشيخ الإمام محمد الغزالي. مجلدان بالاشتراك. نشرته دار المقاصد للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة ٢٠١٧م.

فهرس الموضوعات